رِسالَة رُومية مُفَسَّرَةً عدداً بعدَ الآخر

(الجزءُ الأوَّل)

برنامج «في ظلال الكلمة»

بِقَلَم: القَسّ الدُّكتُور دِكْ وُودوُرد
تَرجَمَة: القَسّ الدُّكتُور بيار فرنسيس

All Rights Reserved

جميع الحقوق محفوظة

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف ولا يجوز إعادة نشر أو طبع هذا الكتاب بأي طريقة طباعية أو إلكترونية بهدف بيعها أو المتاجرة بها أو وضعها على شبكة الإنترنت إلا بإذن من الخدمة العربية للكرازة بالإنجيل. يمكنك أن تحتفظ بالكتب والمقالات للإستخدام الشخصي، كما يمكنك ان تنسخها لاجل توزيعها مجاناً لتعم الفائدة.

Mini Bible College

Study Booklet Twenty-Nine

The Book of Romans
Verse By Verse
(Part 1)

بَرنامج "في ظِلالِ الكلمة"

كُتَيِّب رَقَم ٢٩

رِسالَة رُومية مُفَسَّرَةً عدداً بعدَ الآخر
(الجزءُ الأوَّل)

بِقَلم: القَسّ الدُّكتُور دِكْ وُودوُورد
تَرجمَة: القَسّ الدُّكتُور بيار فرنسيس

هذا هُوَ الكُتَيِّبُ الأوَّل من سِلسِلَةِ أربَعَةِ كُتَيِّباتٍ تُوفِّرُ تفاسِيرَ للذينَ سَمِعُوا برامِجَنا الإذاعِيَّة التي تُعَلِّمُ رِسالَةَ بُولُس الرَّسُول إلى أهلِ رُومية، عدداً بعدَ الآخر. إذا كُنتَ تَرغَبُ أو تُحِبُّ بأنْ تُعلِّمَ هذه الدِّراسَة المُعَمَّقَة لرسالَةِ رُومية، وبهدَفِ الإستِمرارِيَّة، أنصَحُكَ بأن تتَّصِلَ بِنا لنُرسَلَ لكَ مجمُوعَة الكُتَيِّباتِ الأربَعة بكامِلِها عن هذه السِّلسِلَة التَّفسيريَّة.

"مُقدِّمَة لرسالَةِ رُومية"

يُعَلِّمُنا مَثَلٌ قدِيم أنَّنا إذا أعطَينا سمكَةً لإنسانٍ، نكُونُ قد وفَّرنا لهُ الغِذاء لِيَومٍ واحِد، ولكنَّنا إذا عَلَّمناهُ كيفَ يصطادُ السَّمك، نكُونُ قد وفَّرنا لهُ الغِذاء لعُمرٍ كامِل. وأنا إذا "أطعَمْتُكُم بالمِلعَقَة" جوهَرَ رِسالَةِ بُولس الرَّسُول إلى أهلِ رُومية، لَرُبَّما أكُونُ قد أطعَمْتُكُم لِيَومٍ كامِل، ولكن إذا علَّمتُكُم كيفَ تدرُسُونَ هذه الرِّسالة المُوحى بها منَ الله، فإنَّ الرُّوحَ القُدُس سيُطعِمُكُم الغِذاء لِعُمرٍ كامِل. قبلَ أن نبدَأَ دراسَةً مُعمَّقَةً لِرِسالَةِ بُولُس إلى أهلِ رُومية، أوَدُّ أن أُعَلِّمَكُم بعضَ المبادِئ عن كيفيَّةِ دراسَةِ الكتابِ المُقدَّس بشكلٍ عام، وهذه الرِّسالَة بِشَكلٍ خاصّ.

تُوجَدُ طُرُقٌ مُختَلِفَةٌ لِدِراسَةِ الكتابِ المُقدَّس. والإقترابُ التمهِيديُّ من دراسَةٍ جَدِّيَّةٍ للكتابِ المُقدَّس، هي بأخذِ دراسَةٍ مُتكامِلَة لأسفارِ الكتابِ المُقدَّس السِّتَّة والستِّين. فإذا ذهبتَ إلى كُلِّيَّةٍ للكتابِ المُقدَّس، ستَكُونُ مُقَدِّمَتُكَ لهذه الدِّراسَة بمثابَةِ لمحَةٍ عنِ العهدَين القَديم والجديد. فكُلُّ دِراسَةٍ مُنَظَّمَةٍ عنِ الكتابِ المُقدَّس تبدَأُ بنظرَةٍ شامِلَةٍ للكتابِ المُقدَّس، تتبعُها نظرَةٌ تفصيليَّةٌ أو دِراسَةٌ تحليليَّةٌ لكُلِّ سِفرٍ من أسفارِ الكتابِ المُقدَّس.

تبدَأُ دراسَةُ الكتابِ المُقدَّس بِحَسَبِ برنامجنا "في ظِلالِ الكلمة" بلمحَةٍ شامِلةٍ للكتابِ المُقدَّس بكامِلِهِ، والمَقصُودُ منها أن تُزَوِّدَ القارِئَ بصُورَةٍ عامَّةٍ تُقَدِّمُ كلمةَ اللهِ بكامِلِها. ثُمَّ نُقدِّمُ دراساتِ الأسفار، ولا سِيَّما دراسَة إنجيل يُوحَنَّا التي تقَعُ في ستَّةِ كُتَيِّباتٍ، ورسالَة بُولُس إلى أهل رُومية في أربَعَةِ كُتَيِّباتٍ، والتي تُعَلِّمُنا الكتابَ المُقدَّس، سفراً بعدَ الآخر، وعدداً بعدَ الآخر.

أوَّلُ دراسَةٍ قدَّمتُها هي دراسَةُ إنجيل يُوحَنَّا، لأنَّ هدفَ الرَّسُول يُوحَنَّا هو أن يُؤمِنَ الذين يقرَأُونَ إنجيلَه بالمسيح، وأن يختَبِرُوا الخلاص

(يُوحَنَّا ٢٠: ٣٠، ٣١). وإذ أُقدِّمُ هذا الكُتَيِّب الأوَّل للدِّراسَة، صلاتي هي أنَّ أُولئِكَ الذين ينضَمُّونَ إلينا في هذه الدِّراسَة، أن يختَبرُوا الخلاص ويتعرَّفُوا على مُخَلِّصِهم يسُوع ويُحبُّوهُ.

إذ أُتابِعُ سلسِلَةَ الدِّراسة هذه بهذا الكُتَيِّب لدراسَةِ رسالَةِ بُولُس الرَّسُول إلى أهلِ رُومية، صلاتي هي أنَّ أُولئِكَ الذين أصبَحُوا مُؤمِنينَ من خلالِ دراسَتِهِم لإنجيلِ يُوحَنَّا، أن يفهَموا خلاصَهُم بِشَكلٍ أفضَل، وأن يعرِفُوا كيفَ يعيشُونَ كأشخاصٍ مُخَلَّصين. كانَت هذه هي صلاةُ الرَّسُول بُولُس عندَما كتبَ هذه الرِّسالة العَظيمة.

في هذا الكُتَيِّب، والكُتَيِّباتِ الثَّلاثة اللاحِقَة، أُقدِّمُ بعضَ المُلاحَظات لأُولئكَ الذين إستَمَعُوا إلى برامِجِنا الإذاعِيَّة، والذين يرغَبُونَ بالحُصُولِ على كُتَيِّباتِ الدِّراسَةِ لرسالَةِ رُومية، وتعليمِها عدداً بعدَ الآخر.

أهَمِّيَّة دراسَة الكلمات

يُعَرِّفُنا إرميا على شكلٍ من أشكالِ دراسَةِ الكتابِ المُقدَّس، التي تُشَكِّلُ نقيضَ المسحِ الشَّامِلِ للكتابِ المُقدَّس، وذلكَ عندَما يكتُبُ قائِلاً: "وُجِدَ كلامُكَ فأكَلتُهُ، فكانَ كلامُكَ لي لِلفَرَحِ ولِبَهجَةِ قَلبِي." (إرميا ١٥: ١٦). بإمكانِنا أن نُسَمِّيَ دراسَةً تُغَطِّي أسفارَ الكتابِ المُقدَّس السِّتَّة والسِّتِّين، "لمحَةً خاطِفَة على الكتابِ المُقدَّس،" بينما تُشَكِّلُ نظرَة إرميا، "لمحَةً بَطيئة لأسفارِ الكتَابِ المُقدَّس." لقد درسَ إرميا الكِتابَ المُقدَّس كلِمَةً بعدَ الأُخرى. فهُوَ يُخبِرُنا بالحقيقَةِ أنَّهُ أكَلَ كلمةَ اللهِ، كلمةً بعدَ الأُخرى، ولقد فَرِحَ قَلبُهُ عندما درسَ كلمةَ اللهِ بهذه الطّريقة. وتُعتَبَرُ نظرَةُ إرميا لكلمةِ اللهِ فعَّالَةً بشكلٍ خاصٍّ عندما ندرُسُ رسالَةً عميقَةً مثل رسالَة رُومية، عدداً بعدَ الآخر.

عندَما نأكُلُ، نفعَلُ أربَعَةَ أمُور: نقضُمُ، نمضَغُ، نبتَلِعُ، ونهضِم ما إبتَلعناهُ. عندما يُطرَحُ السُّؤالُ، "كيفَ تأكُلُ فيلاً؟" ينبَغي أن يكُونَ الجوابُ، "قَضمَةً بعدَ الأُخرى!" وكيفَ ندرُسُ سفراً من أسفارِ الكتابِ المُقدَّس المُوحَى بها، والتي تُشَكِّلُ مُجَلَّداً من سِتَّةٍ وسِتِّينَ سِفراً؟ ينبَغي أن يَكُونَ الجوابُ، "قضمَةً، أو سِفراً بعدَ الآخر."

عندما نُطَبِّقُ خُطواتِ الأكل الأربَع في دِراسَتِنا لِسفرٍ من أسفارِ الكِتابِ المُقدَّس، مثل رسالة بُولُس الرَّسُول إلى أهلِ رُومية، علينا أوَّلاً أن

نُدرِكَ أنَّهُ لن يُمكِنُنا أن نلتَهِمَ السِّفرَ بكامِلِهِ بقضمَةٍ واحِدَة. فبينما نقضُمُ قضماتٍ صغيرة، سوفَ يتسنَّى لنا أن ندرُسَ هذه الرِّسالَة الغَنيَّة كَلِمَةً بعدَ الأُخرى. مثلاً، بمعنَىً ما الموضُوع الرَّئيس لرسالة رومية بكامِلِها يُمكِنُ تلخِيصُهُ بكَلِمَةٍ واحِدَة: "مُبَرَّرين."

أحياناً نتأمَّلُ بِعَدَدٍ، أو بِعُنقُودٍ منَ الأعداد، أو بإصحاحٍ بكامِلِهِ. عندما نمضَغُ هذا السِّفر سوفَ نُقَسِّمُ الفَقرَة إلى قِطَعٍ صَغيرة يُمكِنُ إبتِلاعُها. هذا ما سنفعلُهُ بينما نَقُومُ بأخذِ لمحَةٍ عن سِفرٍ، وبوضعِ رُؤُوسِ أقلامٍ لهُ، وبتحليلِهِ ومن ثَمَّ بتَلخيصِ الفقراتِ المَوجُودَةِ في هكذا رِسالَةٍ مُوحاةٍ من رسائِلِ بُولُس الرَّسُول. عندما نقضُم ونمضَغُ إصحاحاً، عدداً أو كَلِمَةً من رسالَةِ بُولُس هذه، تُشيرُ إستِعارَةُ الإبتِلاع إلى طَرحِ أسئِلَةٍ مثل: "ماذا يعني هذا؟"

بعدَ أن نقضُمَ، نمضَغَ ونبتَلِعَ كَلِمَةَ اللهِ، يُشيرُ الهضمُ إلى أهمِّ بُعدٍ من أبعادِ دراسَةِ الكتابِ المُقدَّس: التَّطبيق! فقط عندما نهضِمُ الطَّعامَ الذي نأكُلُهُ، عندَها فقط يمنَحُنا الطَّعامُ طاقَةً ويضُخُّ الحياةَ في أجسادِنا. وبنفسِ الطريقة، عندما نهضُمُ الحقيقَةَ التي نَجِدُها في كلمةِ الله، تُصبِحُ كَلِمَةُ اللهِ قُوَّةً رُّوحيَّةً نابِضة في حياتِنا.

بينما تقرأُ الكتابَ المُقدَّس، لاحِظْ أنَّ هُناكَ قيمَةً كُبرى تُعطَى لقَضِيَّةِ تطبيقِ الحقيقَةِ التي نَجدُها في كَلِمَةِ اللهِ على حياتِنا. بِحَسَبِ يسُوع، الأنبياء والرُّسُل، وباقِي كُتَّاب العهدِ الجديد، فقط عندما نُطِيعُ أو نُطَبِّقُ الحقيقَةَ التي نَجِدُها في كلمةِ الله، فقط عندَها تُصبحُ تلكَ الطَّاقَةُ والحياةُ الرُّوحيَّةُ مُتَدَفِّقَةً بإستِمرارٍ في حياتِنا: "لأنَّ كلِمَةَ اللهِ حَيَّةٌ وفَعَّالَةٌ وأمضَى من كُلِّ سَيفٍ ذِي حَدَّين، وخارِقَة إلى مَفرَقِ النَّفسِ والرُّوح والمَفاصِل والمِخاخ، ومُمَيِّزَة أفكارَ القَلبِ ونِيَّاتِه." (عبرانِيِّين ٤: ١٢)

هذا ما يَقُولُهُ الكِتابُ المُقدَّسُ عن نفسِهِ. فكَلِمَةُ اللهِ هي قُوَّةٌ حَيَّةٌ وتجعَلُ منَّا أحياءَ رُوحيَّاً عندما نُطيعُها. كلِمَةُ اللهِ ليسَت مُجَرَّد مَوضُوعٍ أكادِيميٍّ للدِّراسَة العقليَّة.

الفَصلُ الأوَّل

"لمحَة عامَّة عن رِسالَةِ بُولُس إلى أهلِ رُومية"

إذ نقتَرِبُ من رسائِلِ بُولُس، علينا أن نتذَكَّرَ مُجَدَّداً أنَّ أسفارَ الكتابِ المُقدَّس لم يَتِمّ ترتيبُها بالتَّسَلسُل بالنِّسبَةِ إلى تاريخِ كتابَتِها بالتَّتالي. فعلى الرُّغمِ من أنَّ هذه هي الرِّسالَة الأولى لبُولُس كما نَجِدُها في ترتيبِ الأسفارِ الكِتابِيَّة، ولكنَّها لم تَكُنْ الرِّسالَة الأُولى التي كتبَها بُولُس لإحدى كنائِسِه. كُتِبَت رسالَةُ بُولُس إلى أهلِ رُومية في وقتٍ مُتأخِّرٍ من خِدمَتِهِ – في رحلتِهِ التَّبشيريَّة الثَّالِثة، بينما كانَ يقُومُ بِزيارَةٍ سريعة لكُورنثُوس، بعدَ أن قضى ثلاثَ سنواتٍ في الخدمَةِ في أفسُس. ولقد كُتِبَت هذه الرِّسالَة في مرحَلَةٍ مُتأخِّرَة من خِدمَةِ بُولُس الرَّسُول، عندما كانَ قد أصبَحَ ناضِجاً وعميقَ الخُبرَة. وقد تَكُونُ وُضِعَت في مُقدِّمَةِ رَسائِلِ بُولُس، لأنَّها أروعُ رسالةٍ بينَ رسائِلِه. ويعتَقِدُ بعضُ المُفَسِّرينَ أنَّ هذه الرِّسالَة هي أروَعُ سفرٍ من أسفارِ العهدِ الجديد.

مُعظَمُ رسائِل بُولُس تتعلَّقُ مُباشَرةً وتحديداً بالأشخاصِ التي كانت تُوجَّهُ إليهِم. فهِيَ غالِباً تُعالِجُ وتُواجِهُ مشاكِلَ مَحَلِّيَّة كانت تُعاني منها الكنائِسُ والمُدُن التي عاشَ فيها قُرَّاءُ بُولُس. ولكنَّ مُحتَوى هذه الرِّسالَة هُوَ تصريحٌ عميقٌ، مُوجَزٌ، واضحٌ، وشامِلٌ عن لاهُوتِ الخلاص. فهذه الرِّسالَة ليسَت مُجَرَّدَ نبذَةٍ عنِ الإنجيل، بل هي أُطرُوحَةٌ لاهُوتِيَّةٌ شامِلَة تُشَكِّلُ تصريحاً شامِلاً ومُعَمَّقاً للاهُوتِ العهدِ الجديد.

هذه الرِّسالة مُنَظَّمَة بِشَكلٍ جميلٍ وواضِحٍ، لدرَجَةِ أنَّ الكثيرَ منَ المُفسِّرين يعتَقِدُونَ أنَّها كانت على قَلبِ الرَّسول بُولُس لوقتٍ طَويل. فلَرُبَّما تعلَّمَ بُولُس جوهَرَ مُحتواها من المسيحِ المُقام مُباشَرَةً في صحراءِ العَربِيَّة (أُنظُرْ غلاطية ١ – ٢: ١٤). ولكن، لَرُبَّما يَكُونُ قد تأمَّلَ بمحُتواها خلالَ فترَةٍ طَويلة، كتلكَ السنَتَينِ اللتين قضاهما في السِّجن في قَيصَرِيَّةِ فِلسطِين، بينما كانت الدَّولَةُ الرُّومانِيَّة تُبَدِّلُ حُكَّامَها (أعمال ٢٤: ٢٧).

ولَرُبَّما قَرَّرَ أن يُوَجِّهَها إلى أهلِ رُومية بسَبَبِ مُحتَواها الكَونِيّ، وبسببِ كَونِها ستُتَداوَلُ بشكلٍ واسِعٍ في عاصِمَةِ العالَمِ الرُّومانِي في تلكَ الأيَّام.

فمِنَ الإصحاحِ الأوَّل وحتَّى الأخير، يُوجَدُ مَوضُوعٌ أو حُجَّةٌ رَئيسيَّةٌ في الرِّسالة. ولا أقصُدُ بِكَلمة حُجَّة مُقارَعة. فالقَضِيَّةُ القانُونيَّة التي كانَت تُقدَّمُ من قِبَلِ مُحامٍ، يُشارُ إليها بكونِها حُجَّتَهُ. فالرِّسالَةُ بِكامِلِها تبدُو وكأنَّها الحُجَّة القانُونيَّة لِمُحامٍ يُقدِّمُ قانُونيَّاً ومنهَجيَّاً حُججاً قَويَّةً تُقنِعُ المحكمَةَ بِصِحَّةِ البُرهان الذي يُقدِّمُهُ لها. فينبَغي أن نقرأَ هذه الرِّسالَة في جلسَةٍ واحِدة، وبتركيزٍ كَبيرٍ لإتِّباعِ حُجَّةِ بُولُس عبرَ الرِّسالَةِ من الأوَّلِ للآخِر.

وكما أشَرتُ سابِقاً، تلكَ الكلمة الوحيدة "مُتَبَرِّرِينَ" تُلَخِّصُ وتُوجِزُ مَوضُوعَ هذه الرِّسالة الرَّائِعة بكامِلِها. لقد أخبَرنا يسُوعُ في مَثَلِهِ عنِ الفَرِّيسيِّ والعَشَّار (لُوقا ١٨)، أنَّ كُلَّ إنسانٍ يُصَلِّي الصَّلاة القائِلة: "أللَّهُمَّ إرحَمْني أنا الخاطِئ"، سيذهبُ إلى بيتِهِ "مُبَرَّراً."

هذه الكلمة، التي إستَخدَمها يسُوعُ ليَصِفَ حالَةَ النِّعمة لخاطِئٍ مغفُورٍ لهُ، يُمكِنُ تفسيرُها كالتَّالي: "وكأنِّي لم أُخطِئْ البَتَّة." تعني كلمة "مُبَرَّر" أنَّهُ بسببِ المسيح، عندما يعترِفُ الخاطِئُ بأنَّهُ خاطِئٌ، ويطلُبُ رحمَةَ الله، فهُوَ لا يحصَلُ فقط على الغُفرانِ والمُسامحة. بل سيُصبِحُ في نظَرِ اللهِ وكأنَّهُ لم يُخطِئ أصلاً. بالإضافَةِ إلى هذه الأخبارِ السَّارَّة، يُعلِنُ اللهُ أنَّ الخاطِئَ أصبحَ بارَّاً، أو ما نُسمِّيهِ "في حالَةِ النِّعمة."

وبهدَفِ المَزيدِ منَ التَّوضِيح للتَّبرير، تصوَّرُوا سَجينين في حَبسٍ مَنيعٍ أمين. وكلاهُما قد حُكِمَ عليهِما بجرائِمَ، وقُضِيَ عليهِما بأن يقضِيا باقِي عُمرهما في السِّجن. وعندما أنهَيا عشرينَ سنةً من عُقوبَتِهما، مُنِحَ العَفُو رَسمِيَّاً لأحدِهِما، وأُطلِقَ سراحُهُ منَ السِّجن. فأصبحَ رَجُلاً حُرَّاً، ولكنَّهُ رُغمَ ذلكَ سَوفَ يحمِلُ دائماً صبغَةَ ماضِيهِ الإجرامِيّ. وسوفَ يُنظَرُ إليهِ بأنَّهُ كَرَجُلٍ قضى عشرينَ سنَةً من عُمرِهِ في السِّجن. هذه الصَّبغة قد تَحُدُّ رَسمِيَّاً من حياتِهِ ومكانَتِهِ في المُجتَمَع. وقد يَجِدُ صُعُوبَةً في إيجادِ عمَلٍ وفي قُبُولِ الآخرينَ لهُ في الحياة.

وحدَثَ شَيءٌ مُختَلِفٌ تماماً للسَّجينِ الآخر. إذِ إعتَرَفَ إنسانٌ وهُوَ على سَريرِ المَوت بمَسؤولِيَّتِهِ عن الجريمة التي أُدينَ بها ظُلماً ذلكَ السَّجينُ الآخر الذي يقبَعُ منذُ عشرينَ عاماً في السِّجن. فعندما يتبيَّنُ بُرهانُ براءَتِهِ، هل ستعفُو عنهُ الدَّولَةُ التي وضعَتْهُ في السِّجن؟ وكيفَ يُمكِنُ أن يغفِرُوا لهُ خطأً لم يرتَكِبْهُ؟ على العَكس، ينبَغي أن يُعلَنَ هذا السَّجينُ بأنَّهُ بارٌّ بَريء،

أو بِكَلماتٍ أُخرى، بإمكانِهِ الإلحاح قائلاً، "أُريدُ أن أتَبَرَّرَ، أي أن أُحسَبَ بأنَّني لم أَقتَرِفْ تلكَ الجريمة بتاتاً." فهُوَ بالحقيقة لم يقتَرِفْ تلكَ الجريمة التي من أجلِها قضَى عشرينَ سنَةً في السِّجنِ، مُعانِياً من أحوالِ حياةِ السُّجُون.

في رسالَتِهِ إلى أهلِ رُومية، يُخبِرُنا بُولُس الرَّسُول بأمرٍ مُشابِهٍ تماماً، مع فَرقٍ واحِدٍ أساسيّ. يُخبِرُنا بُولُس كيفَ يَستطيعُ اللهُ أن يُعلِنَ إنساناً مُبَرَّراً تماماً، رُغمَ أنَّهُ كانَ مُذنِباً. أمَّا أنظِمَتُنا القضائِيَّة فلا تستطيعُ أن تفعَلَ ذلكَ. اللهُ وحدهُ يستَطيعُ أن يعمَلَ مثلَ هذا الأمر، واللهُ وحدهُ يستطيعُ ذلكَ بسببِ ما عَمِلَهُ يسُوعُ المسيحُ من أجلِنا عندما ماتَ على الصَّليب. تُخبِرنا رسالَةُ بُولس الرَّسُول هذه إلى أهلِ رُومية كيفَ يستطيعُ اللهُ أن يُعلِنَ هكذا إنسانٍ بأنَّهُ بَريءٌ بارٌّ، وكأنَّهُ لم يقتَرِفْ أيَّةَ خَطِيَّةٍ في حياتِهِ، رُغمَ كونِهِ خاطِئاً.

في مَثَلِهِ، أخبرَنا يسُوعُ بالأخبارِ السَّارَّة أنَّ مُعجِزَةَ التَّبرير يُمكِنُ أن يختَبِرَها كُلُّ إنسانٍ يُصَلِّي صلاةَ الخاطِي التَّائِب. (فعندما يتكلَّمُ خاطِئٌ مع الله، ويعتَرِفُ بأنَّهُ خاطِئٌ وبأنَّهُ يحتاجُ للخلاص، ويضَع ثِقَتَهُ الكامِلَة بعملِ المسيحِ المُتَمَّم على الصَّليب، ويُؤمِنُ بقيامَةِ إبنِ اللهِ الوحيد منَ الموت لإتمامِ غُفرانِ خطايانا، نُسَمِّي هذا بِصلاة الخاطِئ.) في رِسالَتِهِ إلى أهلِ رُومية، يُخبِرُنا بُولُس كيفَ يفعَلُ اللهُ ذلكَ. فكيفَ يُمكِنُ لإلهٍ عادِلٍ وقُدُّوس أن يجعَلَ من خُطاةٍ نظيرِكَ ونظِيري أبراراً تماماً؟ إنَّ رِسالَةَ بُولُس إلى المُؤمنين في روما هي أكثَرُ جوابٍ مُوحَى، مُعَمَّق، مَنطِقِيّ، مُنظَّم وشامِل على هذا السُّؤال في الكتابِ المُقدَّس. فجَوهَرُ رسالَة هذه التُّحفَة الرُّوحيَّة لبُولُس هُوَ بمثابَةِ أُطرُوحَةٍ لاهُوتيَّةٍ شامِلَة تُخبِرُنا بِدِقَّة كيفَ وماذا يعمَلُ اللهُ ليُعلِنَ خُطاةً مُذنِبينَ بأنَّهُم أبرارٌ أبرياء، وماذا علينا أن نفعَلَ لنُطَبِّقَ هذا الإعلان على خطايانا.

المَلِكُ داوُد هُوَ مِثالٌ لما تعنيهِ كلمة "مُبَرَّر." فسفر صَمُوئيل الثَّاني التَّاريخيّ في العهدِ القَديم، يُخَصِّصُ أكثَر من عشرة إصحاحاتٍ ليُخبِرَنا بكُلِّ تفاصِيلِ خَطيئَةِ داوُد الدَّنيئة (٢صَمُوئيل ١١- ١٨). ولكن عندما نقرَأُ سِفرَي أخبارِ الأيَّام في العهدِ القَديم، حيثُ نَجِدُ سرداً لتلكَ الحقبَة التَّاريخيَّة من وُجهَةِ نَظَرِ الله، لا يُؤتَى على ذكرِ خَطيَّةِ داوُد بتاتاً.

يـذكُرُ المَزمُـور الحـادِي والخَمسـون إعتِـرافَ داوُد الجَميـل بِخَطِيَّتِـهِ الشَّنيعَة. ويُسَجِّلُ المَزمُور ٣٢ البَركات التي إختَبَرها داوُد بسببِ إعتِرافِهِ بِخَطِيَّتِهِ. فعندما نظَرَ اللهُ إلى خَطِيَّةِ داوُد المُعتَرَف بها، بِدُونِ إنكارِ الحقيقَة المُريعَة لتلكَ الخطيَّة، وعندما نُقارِنُ سِفرَي صَمُوئيل التَّاريخيَّين بِسِفرَي أخبار الأيَّام وبِالمزامير، نُدرِكُ أنَّهُ من وُجهَةِ نَظَرِ الله، خَطيَّةُ داوُد وكأنَّها لم تحدُثْ أصلاً. هذا إيضاحٌ جَميلٌ منَ العهدِ القديم عنِ التَّبرير الذي خصَّصَ لهُ بُولُس مُعظَمَ رِسالَتِهِ إلى أهلِ رُومية.

رِسالَةُ رُومية والأسفارُ المَعنِيَّةُ منَ العهدِ القَديم، التي تُوضِحُ رسالَةَ هذا السِّفر، يُمكِنُ أن تُفهَمَ بِشَكلٍ أوضَح إذا نظَرْنا إلى حياتِنا وكأنَّهَا شَريطُ تسجِيل. تَصَوَّرْ أنَّ حَياتَكَ بِجُملَتِها مُسَجَّلَةٌ على شَريطِ تسجيل. وعندما تُخطِئُ، تُسَجَّلُ خَطيئَتُكَ على شَريطِ وقائِع حياتِك. وعندما يَجدُ اللهُ خَطيَّةً على شَريطِ وقائِع حياتِك، بِسَبَبِ إيمانِكَ بِما فعلَهُ يسُوعُ من أجلِكَ على الصَّليب، يقطَعُ ذلكَ الجُزءَ منَ الشَّريط الذي يُسَجِّلُ خطيَّتَكَ. وهُوَ يقطَعُ الشَّريط من حيثُ تبدَأُ الخطيَّة وإلى أن تنتَهي، ويرمي هذه القطعة منَ الشَّريط بعيداً. ثُمَّ يُلصِقُ الشَّريطَ مُجدَّداً، حتَّى أنَّهُ عندما يُديرُ اللهُ شريطَ وقائِعِ حياتِكَ يومَ الدَّينُونَة، إن كُنتَ قد آمنتَ بيسُوع لخلاصِكَ، وأصبَحَت تلميذاً تابِعاً لهُ، لن تَكُونَ هُناكَ أيَّةُ خَطيَّةٍ على شَريطِ حياتِكَ. فلن تُغفَرُ خطيَّتُكَ وتُسامَح فقط، بل لن تُذكَرَ الخطيَّةُ في حياتِكَ البَتَّة. فبالنِّسبَةِ لله، وكأنَّ خَطِيَّتَكَ لم تحدُثْ أصلاً. هذا ما يعنيهِ التَّبرير.

مَضمُون رسالة بُولُس إلى أهلِ رُومية

إذ نبدَأُ دراسَتَنا لهذه الرِّسالة الرَّائعة لبُولُس، أوَّلُ أمرٍ علينا أن نعمَلَهُ هُوَ أن نُقَسِّمَ إصحاحاتِها السِّتة عشَر إلى أربَعَةِ أقسام:

-في الإصحاحاتِ الأربَعة الأُولى، يربِطُ بُولُس بينَ التَّبريرِ والخاطِئ.

-في الإصحاحاتِ الأربَعة التَّالِيَة (٥- ٨)، يَربِطُ بُولُس التَّبريرَ بالشَّخصِ الذي تمَّ تَبريرُهُ. ولكن كيفَ يَعِيشُ شخصٌ تمَّ إعلانهُ بارَّاً من قِبَلِ اللهِ، بعدَ أن تمَّ تبريرُهُ؟ منَ الواضِحِ أنَّهُ ينبَغي أن يعيشَ حياةَ البِرّ. وكيفَ يَجِدُ الدِّيناميكيَّةَ الرُّوحِيَّةَ ليَحيا حياةَ البِرّ؟ هذا هُوَ مَوضُوعُ المجمُوعَةِ الثَّانِيَة المُؤلَّفَة منَ الإصحاحات الأربَعة منَ الرِّسالة (٥- ٨).

-القِسمُ الثَّالِثُ من هذه الرِّسالَة (٩- ١١)، هُوَ حيثُ يَربِطُ بُولُس التَّبريرَ بِشَعبِ إسرائيل. وتُعتَبَرُ هذه أعمق ثلاثَة إصحاحاتٍ في الكتابِ المُقدَّس حولَ مَوضُوع النُّبُوَّة الكِتابِيَّة. يستَخدِمُ بُولُس إسرائيل في هذه الإصحاحات كالمثالِ الكتابِيِّ الأعلى عمَّا يُسمِّيهِ "الإختِيار،" أو إختيار الله أُناساً للخَلاص.

في هذا المقطَع الثَّالِث من هذه الرِّسالَة، ندرُسُ ذلكَ التَّعليم الكِتابِيِّ الصَّعب الذي يُسَمَّى "التَّعيين المُسبَق للخَلاص." هُناكَ تناقُضٌ مُحَيِّرٌ في دراسَتِنا للكِتابِ المُقدَّس، الذي يبدو وكأَنَّهُ تناقُضٌ، ولكن معَ دراسَةٍ وتمييزٍ رُوحِيَّين، ندرِكُ أَنَّهُ لا يُوجَدُ تناقُضٌ. هُناكَ أوقاتٌ تُرغِمُنا فيها حُدُودُ إنسانِيَّتِنا على قُبُولِ الحقيقَةِ أَنَّنا على الأقَلّ في هذه الحياة لن نستطيعَ أبداً إيجادَ حَلٍّ ظاهِرٍ لهذه التناقُضات التي نَجِدُها في الكتابِ المُقدَّس. وعلينا أن نُدرِكَ أَنَّ طُرُقَ وأفكارَ الله تختَلِفُ عن أفكارِنا، كما تعلُو السماواتُ عنِ الأرض (إشعياء ٥٥: ٨، ٩). التَّناقُضُ يُحَلُّ أحياناً عندما نُدرِكُ أَنَّ القَضِيَّة ليسَت خياراً واحداً منَ الإثنين، بل الإثنَينِ معاً.

في واحدٍ من أكثَرِ التَّعاليم التي تبدُو مُتناقِضَة في كلمةِ الله، في هذه الإصحاحاتِ الثَّلاثَة، يستَخدِمُ بُولُس أيضاً إسرائيل كالمِثال الكِتابِيِّ الأعلى للإشارَةِ إلى شَيءٍ بالِغِ الأهمِّيَّة بالنِّسبَةِ لله: إرادة الكائناتِ البَشَرِيَّة الحُرَّة. فلقد منحَنا خالِقُنا الحُرِّيَّةَ والمَسؤُولِيَّةَ لإتِّخاذِ الخَيارات. أمَّا اليَهُود فلقد إتَّخَذُوا الخَياراتِ الخاطِئة عندما رفَضُوا المَسِيَّا، وإختارُوا بأن لا يَعُودُوا بعدَ الآن شعبَ اللهِ المُختار للخلاص، وأن لا يكُونُوا أداةً لخلاصِ هذا العالم. لهذا يستخدِمُ بُولُس إسرائيل في هذه الإصحاحاتِ الثَّلاثَة كالمِثالِ الكِتابِيِّ الرَّائِع عن الحُرِّيَّة والمَسؤولِيَّة التي زَوَّدَنا بها اللهُ لإتِّخاذِ الخيارات، سواءٌ أكانَت خياراتٍ صائِبَة أم خاطِئة.

الإصحاحاتُ الأربَعة الأخيرة من هذه الرِّسالَة هي عمليَّةٌ لِلغَايَة. في كُلِّ رسائِلِ بُولُس، نَجِدُ فصلاً مُحدَّداً بِدِقَّة بينَ التَّعليمِ والتَّطبيق. إحدى رسائِلِهِ تنقَسِمُ بالتَّساوي تقريباً بينَ ثلاثَةِ إصحاحاتٍ منَ التَّعليم، وثلاثة إصحاحات أُخرى منَ التطبيق. في هذه الرِّسالة، تقريباً ثلاثَة أرباع هذه الإصحاحات تُشَكِّلُ تعليمَ رسالَة رُومية (١- ١١)، ورُبعُ هذه الإصحاحات يُشَكِّلُ التَّطبيق (١٢- ١٦).

تُشَكِّلُ هذه الرِّسالَةُ التُّحفَةَ اللاهُوتيَّةَ لهذا الرَّسُولِ العَظيم، وهذه الإصحاحاتِ التطبيقيَّة الأربَعة هي عمليَّةٌ لِلغايَة. يُظهِرُ بُولُس ويشرَحُ ويُطَبِّقُ كيفَ يستطيعُ الأشخاصُ المُبَرَّرُونَ أن يُطَبِّقُوا إنجيلَ التَّبريرِ على أنفُسِهم وإلتِزامَهُم بالله وبمشيئَتِهِ لحياتِهم، لحُكُومَتِهِم، ولبِعضِهِم البَعض، ولعالَمٍ ساقِطٍ يحتاجُ أن يسمَعَ الأخبارَ السَّارَّةَ التي أعلَنَها يسُوع.

عندما يَقُومُ بُولُس بِتَطبيقاتِهِ في هذهِ الرِّسالَة، يُواجِهُ ويُعالِجُ المشاكِلَ المحليَّة التي تمَّ إختِبارُها بينَ تلاميذ يسُوع في رُوما. فعندما كتبَ هذه الرِّسالة، لم يَكُنْ قد ذهبَ البَتَّةَ إلى رُوما. ولكن كانَ يُوجَدُّ قَولٌ بأنَّ كُلَّ الطُّرُق تُؤَدِّي إلى رُوما. وفي أسفارِهِ الكَثيرَة، إلتَقى بالكثيرِ منَ المُؤمنينَ الذين كانوا قد سافَرُوا إلى رُوما وأصبحُوا جُزءاً من كنائِسِ المَنزِل في رُوما. ولقد إلتَقى أيضاً بمُؤمنينَ كانُوا جُزءاً من هذه المُجتَمَعاتِ الرُّوحيَّة. بهذه الطريقة، كانَ بُولُس مُطَّلِعاً تماماً على المشاكِل التي واجَهها في تطبيقِ إصحاحاتِ هذه الرِّسالَة.

أهمِّيَّة رِسالَة رُومية

قَبلَ أن نبدأَ دراسَتَنا عدداً بعدَ الآخر لهذه الرِّسالة المُوحَى بها، عليَّ أن أُقدِّمَ أمثِلَةً عن تأثيرِ هذا السِّفر على حياة النَّاس عبرَ تاريخِ الكنيسة. فلم يسبِق لأيِّ سفرٍ في العهدِ الجديد أن أثَّرَ على تاريخِ الكنيسة بمقدارِ ما أثَّرَت رسالَة بُولُس هذه على مُؤمني رُوما.

أحدُ أعظَمِ الرِّجالاتِ الذين سنلتَقيهُم في كُتُبِ تاريخِ الكنيسة، يُسَمَّى أُغسطِينُوس. فلقد كانَ قائِداً عظيماً لكنيسةِ شمالِي إفريقيا. وكانَ أُوغسطينُوس قد تجدَّدَ من خلفيَّةِ حياةٍ رهيبَة غارِقَة في الخَطيَّة، بِقراءَةِ عددٍ واحدٍ من رِسالَةِ رُومية. فإستِجابَةً لِصلواتِ أُمِّهِ التَّقيَّة، سَمِعَ صَوتَ طِفلٍ يَقُولُ لهُ أن يستَيقِظَ وأن يقرَأَ ذلكَ العدد. وعندما تجاوَبَ بعملِ ما طُلِبَ منهُ القِيامُ بهِ، تجدَّدَ بأُعجُوبَة. فتاريخُ الكنيسة كانَ قد تأثَّرَ ديناميكيَّاً بتجديد أُغسطينُوس، الذي نتجَ عن قراءَتِهِ لعددٍ واحدٍ من رسالَة بُولُس المُوحاة هذه.

كَكاهِنٍ كاثُوليكيّ، كانَ مارتِن لُوثر يُعاني من صِراعٍ في نفسِهِ حولَ خلاصِهِ الشَّخصِي وعلاقَتِهِ معَ الله. وذاتَ صباحٍ خلالَ تأمُّلاتِهِ، إختَبَرَ

تدخُّلاً إلهيّاً. كانَ يُحَضِّرُ ليُعلِّمَ كلمةَ اللهِ في جامِعَةِ وِتنبرغ، فإرتَسَمَ أمامَهُ العددُ ١٧ من الإصحاحِ الأوَّل من رسالَةِ رُومية. "تُخبِرُنا هذه الأخبارُ السَّارَّةُ كيفَ يجعَلُنا اللهُ مُبَرَّرينَ أمامَ عينيه. وهذا يتحقَّقُ منَ البِدايَةِ إلى النِّهايَةِ بالإيمان. فكما تقُولُ كلمةُ الله، "وأمَّا البارُّ فبالإيمانِ يحيا." وعلى مِثالِ أُوغسطينُوس، تجدَّدَ مارتن لُوثر بطريقَةٍ مجيدة، وتأثَّرَتْ أُورُوبا بأسرِها بما نُسمِّيهِ الإصلاح، الذي كانَ نتيجَةَ تَجديدِ لُوثَر. فذلكَ العددُ الوَحيدُ أثَّرَ على أُورُوبَّا بأسرِها، وليسَ فقط على حياة ذلكَ الكاهِنِ الكاثُوليكيّ، مارتن لُوثَر.

وبعدَ قَرنَين، رَجُلٌ إسمُهُ جُون وِسلي يُخبِرُنا أنَّ قَلبَهُ شَعرَ بالدِّفءِ الرُّوحِي بشكلٍ غَريبٍ في مكانٍ يُسمَّى Aldersgate. فتجدَّدَ وسلي تماماً كما حدَثَ معَ أُوغسطينُوس ولُوثر. فبينما كانَ أحدُهُم يقرَأُ تفسيرِ لُوثر لرِسالَةِ رُومية، جدَّدَ اللهُ جُون وِسلي بِطَريقَةٍ عجائبِيَّة، فحدَثَ ما يُسمِّيهِ مُؤَرِّخُو الكنيسة بالنَّهضَةِ العَظيمة، أو نهضَة القرن الثَّامِن عشَر، التي غَيَّرت تاريخَ إنكلترا، والتي بِحَسَبِ المُؤرِّخينَ المدنيِّين، جنَّبَت إنكلترا من المُرُور في ثَورَةٍ دَمَويَّةٍ كَتِلكَ التي حَدَثت في فَرَنسا، أي الثَّورة الفَرَنسيَّة، التي تركَتْ صفحَةً حزينَةً في التَّاريخِ الفَرنسي.

وهكذا تأثَّرَ تاريخُ شمالِي إفريقيا بِعُمقٍ بسببِ قراءَةِ أُوغسطينُوس لِعَدَدٍ من رسالَةِ رُومية. وتشكَّلَ تاريخُ أُوروبَّا عندما قرأَ مارتن لُوثر عدداً واحداً من هذه الرِّسالة المُوحى بها منَ الله. وتَغَيَّرَ تاريخُ إنكلترا عندما غَيَّرَ اللهُ حياةَ جُون وسلي، بينما كانَ يقرأُ مُقَدِّمَةَ تفسيرٍ لهذه الرِّسالة لبُولس الرَّسُول إلى أهلِ رُومية. فكُلُّ طائِفَةٍ بروتستانِتيَّة مَوجُودة اليَوم، هي نتيجَةٌ مُباشَرَةٌ لتأثيرِ رسالَةِ رُومية، التي نحنُ الآن على وَشَكِ البَدءِ بدراسَتِها تفصيلِيّاً.

ويُوجَدُ الكَثيرُ من النَّاسِ الذين بإمكانِنا أن نُتابِعَ سردَ أسمائِهم، من الذين تأثَّرُوا بهذا السفر، أي بِرسالَةِ رُومية. لهذا عليكَ أن تبدَأَ دِراسَةَ هذه الرِّسالة بِرُوحِ الصَّلاة، لكَي يُغَيِّرَ اللهُ حياتَكَ بينما تقرأُ وتدرُسُ هذه الرِّسالَة لبُولُس إلى أهلِ رُومية. أُطلُبْ من الرُّوحِ القُدُس أن يَضَعَ الحرارَةَ في قَلبِكَ بينما تدرُسُ هذه الرِّسالة معنا.

عامِلٌ في كَلِمَةِ الله

يَعتَقِدُ الكَثيرُونَ أنَّ هذه الرِّسالة هي أصعَبُ رسائِلِ الرَّسُول العَظيم بُولُس. لقد كانَ بُولُس "لِلكُلِّ كُلَّ شَيءٍ." ولقد كتبَ قائِلاً في الأعدادِ الإفتِتاحِيَّةِ لهذه الرِّسالَة أنَّهُ كانَ مُرغَماً على تقديمِ الإنجيل للحُكماءِ والجُهلاء (١: ١٤) ولقد شَرَحَ للكُورنثُوسيِّينَ أنَّ الرُّوحَ القُدُس يُعلِنُ الحقيقَةَ الرُّوحيَّة للأشخاصِ الرُّوحِيِّين، بِغَضِّ النَّظَرِ عن مُستَوى ثقافَتِهِم. ولكنَّهُ يَقُولُ في هذا الإطار أنَّهُ يتكلَّمُ بِحِكمَةٍ بينَ الكامِلين (١كُورنثُوس ٢: ٦).

هذا ما فعلَهُ بُولُس عندما كتبَ هذه الرِّسالة. عليكَ أن تتعلَّمَ أن تدرُسَ، إذا أردتَ أن تفهَمَ ما كتبَهُ بُولُس في رِسالَتِهِ إلى أهلِ رُومية. لكَي تفهَمَ ما أقصُدُ، تأمَّلْ بهذه الكلمات التي كتبَها بُولُس لتيمُوثاوُس: "إجتَهِدْ أن تُقيمَ نفسكَ للهِ مُزَكًّىً، عامِلاً لا يُخزى، مُفَصِّلاً كَلِمَةَ الحَقِّ بالإستِقامَة." (٢تيموثاوُس ٢: ١٥) يبدُو وكأنَّ بُولُس، تماماً كما فعلَ إرميا، يَقُولُ لتيمُوثاوُس أن يأكُلَ كلمةَ الله – فينبَغي أن يتمَّ تفصيل كلمة الله بالإستِقامَة، إذا أرادَ تيمُوثاوُس أن يَكُونَ عامِلاً في كلمَةِ الله. الكلمة المِفتاحِيَّة في هذا المقطع هي كلمة "إجتَهِد."

في أوَّلِ مرَّةٍ حضَرتُ فيها درسَ اللُّغَةِ اليُونانِيَّة، كانَ أُستاذُ اللُّغةِ اليونانِيَّة قد وضعَ لوحَةً على الحائط فوق مكتَبِهِ، مكتُوبٌ عليها العدد الذي قالَهُ بُولُس لتيمُوثاوُس. فبدأَ الأُستاذُ مُحاضَرَتَهُ بالإشارَةِ إلى تلكَ اللوحة على الحائط، طارِحاً السُّؤال، "هل تَعرِفُونَ ماذا تعني كلمة "إجتَهِد" في اللُّغَةِ اليُونانِيَّة؟ إنَّها تعني، "أُبذُل قُصارَى جُهدِكَ للمعرِفَة."

أتَعجَّبُ منَ الأشخاص الذين يعتَقِدونَ أنَّهُم يستطيعُونَ الإجتِهاد في دَرسِ علمِ الجَبر، والهَندَسَة، والكيمياء، والبيولوجيا، أو العُلوم، ولكنَّهُم يتوقَّعُونَ أن يفتَحُوا كتابَهُم المُقدَّس وأن يفهَمُوا رسالَةً مثل رسالَة بُولُس إلى أهلِ رُومية، بدُونِ أيَّةِ دراسَةٍ لها. وكأنَّهُم بهذا يُؤمِنُونَ أنَّهُ بإستِطاعَتِهِم أن يفهَمُوا الكتابَ المُقَدَّس بمُجَرَّدِ وضعِهِ تحتَ وِسادَتِهِم خلالَ الليل، مُتَوقِّعينَ أن يضعَ اللهُ فهمَ كلمتِهِ في أذهانِهِم خلالَ نومِهِم. يبدو أنَّ هكذا أشخاصٍ لا يُدرِكُونَ أنَّ الله لا يُعلنُ كلمَتَهُ لنا بنَوعٍ منَ السِّحرِ الرُّوحِيّ.

فنحنُ ندرُسُ الكتابَ المُقدَّس ببَساطَةٍ، إذا توقَّعنا أن تلمُسَ كلمَةُ اللهِ قُلُوبَنا وأن تُصبِحَ قُوَّةً في حياتِنا. يَصدُقُ هذا بشكلٍ خاصٍّ عندَما نبدَأُ هذه

الدِّراسَة المُعَمَّقَة للرِّسالَةِ إلى أهلِ رُومية. لهذا، أطلُبُوا منَ الرُّوحِ القُدُس أن يُعلِنَ لكُم فحوى رسالة بُولس العميقة هذه، وكذلكَ حاوِلُوا أن تَضعُوا جهداً لدرسِها بينَما نتأمَّلُ بها معاً. خَصِّصُوا على الأقَلّ لدراسَةِ هذه الرِّسالَة من المَجهُودِ الذِّهنِيّ، ما تُخَصِّصُوهُ لدراسَةِ أيِّ مَوضُوعٍ آخر في الجامِعة أو في العمل الذي تكتَسِبُونَ منهُ عيشَكُم. فإذا درستُم بإجتِهادٍ هذه الكلمات التي كتَبَها بُولُس لِلمُؤمِنينَ في رُومية، سوفَ تفهَمُونَ لماذا قالَ عنها البَعضُ أنَّها من أهمِّ أسفارِ الكتابِ المُقدَّس.

الفَصلُ الثَّانِي
"لِقاءٌ معَ الرَّسُول بُولُس"
(رومية ١: ١- ١٦)

"بُولُس عَبدٌ لِيَسُوعَ المسيح المَدعُوّ رَسُولاً المُفرَزُ لإنجيلِ الله. الذي سبقَ فَوَعَدَ بِهِ بأنبيائِهِ في الكُتُبِ المُقدَّسة، عن إبنِهِ. الذي صارَ من نَسلِ داوُد من جِهَةِ الجَسَد. وتَعيَّنَ إبنَ اللهِ بِقُوَّةٍ من جِهَةِ رُوحِ القَداسَةِ بالقِيامَةِ من الأموات. يسُوعَ المَسيح رَبِّنا. الذي لأجلِ إسمِهِ قَبِلنا نِعمَةً ورِسالَةً لإطاعَةِ الإيمان في جَميعِ الأُمَم. الذين بينَهُم أنتُم أيضاً مَدعُوُّو يسُوع المَسيح. إلى جَميعِ المَوجُودِينَ في رُومية أحِبَّاءَ اللهِ مَدعُوِّينَ قِدِّيسين. نِعمَةٌ لَكُم وسلامٌ منَ اللهِ أبينا والرَّبِّ يسُوع المسيح" (رومية ١: ١- ٧).

بُولُس يُخبِرُ المُؤمِنينَ في رُوما عمَّن هُو

الكلمةُ الأُولى في هذه الرِّسالة هي "بُولُس." في القَرنِ الأوَّل، كانت تُكتَبُ الرَّسائِلُ على أدراجٍ مُلتَفَّة. وعندما كانَ أحدُهُم يكتُبُ رِسالَةً في تلكَ الأيَّام، كانَ يضعُ إسمَهُ أوَّلاً، لكي لا يُضطرَّ القارِئُ أن يَفُكَّ الدرجَ حتَّى نهايَتِهِ لكي يتحقَّقَ من هُوِيَّةِ الكاتِب. فهُوَ يُريدُ الآن أن يَقُولَ لهؤلاء النَّاس في تَحِيَّتِهِ، القَليلَ عن نفسِه. فيُخبِرُهُم من هُوَ، وما هُوَ، وأينَ هُوَ. ويُخبِرُهم لماذا هُوَ ومن هُوَ، وما هُوَ وأين هُو.

ولكنَّهُ بِشَكلٍ أساسِيٍّ يُخبِرُهُم من هُوَ يسُوع، وما هُوَ يسُوع، وأينَ هُوَ يسُوع اليوم، ويُخبِرُهم لماذا يسُوعُ هُوَ من هُوَ، وما هُوَ، وأينَ هُوَ. ومن ثَمَّ يُخبِرُهم عمَّن هُم، وعمَّا هُم، وعن أينَ يُفتَرَضُ بهم أن يكُونُوا في المَسيح. فإن كُنَّا نُطَبِّقُ هذه التَّحيَّة على نُفُوسِنا، وإن كُنَّا نبحَثُ عن

التطبيق، ستُخبِرُنا هذه التَّحيَّةُ عمَّن، وعمَّا، وعن حيثُ يُفتَرَضُ بنا أن نَكُون في المسيح. كُلُّ هذه الحقائِق العميقة نَجِدُها في هذه الأعدادِ السبعةِ الأُولى التي تُشكِّلُ هذه التَّحيَّة التي وجَّهَها يسُوعُ إلى أتباعِ المسيح في رُوما.

لِكَي نُرَكِّزَ على الهُوِيَّةِ الرُوحِيَّة الشَّخصِيَّة لبُولُس، سواءٌ بالنِّسبَةِ للمُؤمنينَ الرُّومان، بالإضافَةِ إلى هُوِيَّتِنا الرُّوحيَّة الشخصيَّة، فَكِّرُوا معي بينَما ننظُرُ إلى هذا المقطَع، كَلِمَةً بعدَ الأُخرى. يقُولُ، "بُولُس عبدٌ لِيسُوع المسيح." إنَّ كَلِمَة عبد باليُونانيَّة التي يستَخدِمُها بُولُس للإشارَةِ إلى "خادِم" هي doulos وتعني عبداً بمعنى الرَّقيق. فأكثَرُ من نِصف سُكَّان مدينَة رُوما كانُوا عبيداً، عندما كتبَ بُولُس رِسالَتَهُ إلى أهلِ رُومية، وكثيرُونَ من المُؤمنين بالمسيح في رُوما وفي مُختَلَفِ المناطِق التي أسَّسَ فيها بُولُس كنائِس، كانُوا عبيداً.

في مُعظَمِ حضاراتِ اليوم، ليسَ لدينا عَبيد، ولا نُدرِكُ كيفَ كانت حياةُ العَبدِ تماماً. عندما كتبَ بُولُس رسالَتَهُ هذه للمُؤمنينَ في عاصِمَةِ الأمبراطُوريَّةِ الرُّومانِيَّة، كان كلُّ شَخصٍ في تلكَ المدينة يعرِفُ ماذا كانَ يعني أن تَكُونَ عبداً. فلقد كانَ العبدُ كَقِطعَةِ أثاثٍ في المَنزِل. وكانَ العبدُ مُلكاً لشخصٍ آخر. ولم تَكُنْ لديهِ أيَّة حُقُوق. ولم يَكُنْ يَهمُّ ماذا يُفَكِّرُ بهِ العَبدُ، أو ماذا يرغَبُ بهِ العَبدُ، أو ما هِيَ آراؤُهُ أو رغباتِهِ، بل كانَ كَمُجرَّدِ حيوانٍ، ولم يَكُنْ لدَيهِ حُقُوقٌ أكثَر من أيِّ حَيوانٍ.

فإن كُنتَ تملِكُ حصاناً، فذلكَ الحصانُ لا حُقُوقَ لديهِ. فأنتَ لا تُفَكِّرُ بما يَرغَبُ بهِ هذا الحِصان، أو بما يُريدُ أن يعمَلَهُ يوماً ما. بل عندما تَملِكُ حصاناً، فإنَّ هذا الحَيوان يَقُومُ بِمُجرَّدِ خدمَتِكَ. فعندما يُقدِّمُ بُولُس نفسَهُ لأهلِ رُومية ولنا قائِلاً، "أنا عبدٌ ليسُوع المسيح،" فالذي جاءَ أعلاهُ هُو ما تعنيهِ بالتَّحديد كلمة "عبد."

كتبَ بُولُس للكُورنثُوسيِّين أنَّهُ رُغمَ كَونِهِ قد وُلِدَ حُرَّاً، ولكنَّهُ إختارَ طَوعاً أن يُصبِحَ عبداً لكُلِّ إنسانٍ يَلتَقيه. وأنَّهُ سوفَ يخدِمُ هذا الإنسان وكأنَّهُ عبدٌ لهُ، لعلَّهُ يحظَى بِفُرصَةٍ لجعلِه يُؤمِنُ بإنجيلِ يسُوع المسيح فيختَبِرَ الخلاص. (رومية ١: ١٤؛ ١كُور ٩:١٩)

ولكنَّ بُولُس بالحقيقَةِ، قد وُلِدَ حُرَّاً، ولم يكُنْ عبداً. بل كانَ مُواطِناً رُومانيَّاً، الأمرُ الذي كانَ نادِراً بينَ اليهُود الذين كانُوا يَعيشُونَ تحتَ الحُكمِ الرُّومانِيّ. لقد وُلِدَ حُرَّاً، وكانَ يَحِقُّ لهُ أن يفتَخِرَ بهذا، ولكنَّهُ يُخبِرُ المُؤمنينَ في رُوما وكُورنثُوس، ويُخبِرُنا نحنُ اليوم، أنَّهُ إختارَ طَوعيَّاً أن يُصبِحَ عبداً ومُلكاً، لَيسَ لِيَسُوع المسيح فَحَسب، بل لكُلِّ أُولئكَ الذين سيلتَقيهِم في حياتِه.

ويُخبِرُنا أيضاً أنَّهُ رَسُولٌ. يَقُولُ حرفِيَّاً،"المَدعُوّ رَسُولاً." فَهُوَ يُخبِرُنا بِبساطَةٍ أنَّهُ رَسُولٌ مَدعُوٌّ. عندما عَيَّنَ الرَّسُلُ بَديلاً لِيَهُوَّذا الإسخَريُوطِيّ، الذي خانَ يسُوع، إختَارُوا مَتِيَّاس. (أعمال ١: ١٦- ٢٦) ولكن يبدُو بِوُضُوحٍ بالنِّسبَةِ لي أنَّ البَديلَ الذي إختَارَهُ الرَّبُّ بدَلَ يَهُوَّذا كانَ الرَّسُول بُولُس. أَمَّا البَديلُ الذي إختَارَهُ الرُّسُل، أي متِّياس، فلا يظهَرُ مُجدَّداً في العهدِ الجديد، أمَّا بُولُس فنَجِدُ أنَّهُ كَتَبَ نِصفَ العهدِ الجديد، وحملَ الإنجيلَ إلى أصقاعِ العالَمِ المَعرُوفِ آنذاك.

الكلمة "مَدعُوٌّ،" هي واحِدَةٌ من كَلِماتِ بُولُس الهامَّة. فهُوَ يستَخدِمُ هذه الكلمة ليُشيرَ إلى إختِبارِ الخلاص. كتبَ يَقُولُ لِلكُورنثِيِّينَ أنَّنا عندما نخلُصُ، نُصبِحُ مَدعُوِّينَ للشَّرِكَة مع يسُوع المسيح (١كُورنثُوس ١: ٩). وأشارَ مراراً في رسالَتِهِ إلى الكُورنثِيِّين إلى أنَّهُ إعتَبَرَ إختِبارَ الخلاص مُرادِفاً لِكَونِ الإنسانِ مَدعُوَّاً (١كُو ١: ٢٤- ٣١).

لماذا دُعِيَ بُولُس لِيَكُونَ رَسُولاً؟ كتبَ يَقُول: "لأجلِ إطاعَةِ الإيمان، ولأجلِ إسمِهِ." قالَ في العددِ الخامِس من رُومية ١، "الذي بِهِ لأجلِ إسمِهِ قَبِلنا نِعمَةً ورِسالَةً لإطاعَةِ الإيمان في جَميعِ الأُمَم." قالَ بُولُس حرفِيَّاً، "لإطاعَةِ الإيمان." لدينا فكرَة سَطحيَّة عمَّا هُوَ الإيمانُ اليوم. إذا فتَّشتُم في اللُّغَةِ اليُونانِيَّة على الكلمة التي إستَخدَمَها كُتَّابُ العهدِ الجديد للإشارَةِ إلى مفهُوم "إيمان" بالطريقَةِ التي رَكَّزنا فيها على كلمة "مُبَرَّر،" ستَجِدُونَ أنَّ الإيمانَ يعني الإلتِزام بالإتِّباع والطَّاعَة.

في بدايَاتِ الحَربِ العالَمِيَّةِ الثانِيَة، عندما إجتاحَ اليابانِيُّونَ جُزُرَ الفِيلِبِّين، كان مُديرُ مدرَسَةٍ مسيحيَّة يَقُودُ خدمَةَ عبادَةٍ وصلاة، عندما دخَلَ الجُنُودُ اليابانِيُّونَ إلى مدرَسَتِهِ. فأمرَ قائِدُ الفرقَةِ العسكَرِيَّةِ اليابانِيَّة مُديرَ المدرسَةِ بأن يُمَزِّقَ الأعلامَ الفيليبِّينيَّة والمسيحيَّة، وأن يبصُقَ عليها

ويدُوسَها تحتَ أقدامِهِ. ولكنَّ مُديرَ المَدرَسَةِ الوديع لم يَسَعْهُ أن ينطُقَ بكلمَةٍ واحِدة، ولكنَّهُ هَزَّ رأسَهُ يميناً ويساراً رافِضاً ما أمرَهُ بهِ القائِدُ العَسكَريُّ الياباني. فوضعَ القائِدُ الياباني مُسَدَّسَهُ في بطنِ مديرِ المدرسَة وأمرَهُ بتنفيذِ أوامِرِهِ تحتَ تهديدِ القَتل. ولمَّا رَفَضَ مُديرُ المَدرَسَةِ ثانِيَةً تنفيذَ أوامِرِ القائد، أطلقَ الأخيرُ النَّارَ على بطنِهِ.

ولكنَّ مُديرَ المدرَسَةِ نجا بأُعجُوبَةٍ، وبعدَ الحَرب، عندما تمَّ فكُّ أسرِهِ من أحدِ السُّجُون، طرحَ عليهِ صحفيٌّ السُّؤال، "ما هي الأفكارُ التي خَطَرَت بِبالِكَ والتي جعَلتكَ تُفَضِّلُ أن تتلقَّى رصاصَةً في بَطنِكَ على أن تُمَزِّقَ تلكَ الأعلام؟" فأجابَ، "أدركتُ أنَّهُ هُناكَ وقتٌ لكُلِّ إنسانٍ ليُقَرِّرُ متى ينبَغي أن يُظهِرَ بأعمالِهِ إيمانَهُ. وكانَ وقتي قد حان."

بِحَسَبِ العَهدِ الجَديد، لا يُوجَدُ وقتٌ واحِدٌ فقط في حياتِنا حيثُ نستطيعُ أن نُظهِرَ ما نُؤمِنُ بهِ. بل لِكَي نَكُونَ مُنسَجِمينَ معَ جوهَرِ معنَى كلمة الإيمان في العهدِ الجديد، علينا دائماً أن نُرِيَ إيمانَنا بأعمالِنا. هذا ما تعنيهِ كلمة إيمان حرفِيّاً.

تَصَوَّرْ أنَّكَ عاجِزٌ جسديّاً، وأنَّ النِّيران قد شَبَّتْ بِمَنزِلِك. فعندما يأتي رجالُ الإطفاءِ ليُنقِذُوك، الطريقة الوحيدة التي سَتُساهِم بها في إنقاذِكَ هي بأن تُلقِي بِكامِلِ ثقلِكَ على كَتِفَي أحدِ رجالِ الإطفاء الذي سيُخرِجُكَ منَ منزِلِكَ المُشتَعِلِ. هذا هُوَ أحدُ المعاني المُتَضمَّنة في كلمة "يُؤمن" باليُونانِيَّة. عندما نقرأُ: "لأنَّهُ هكذا أحَبَّ اللهُ العالم حتَّى بَذَلَ إبنَهُ الوحيد لكَي لا يهلِكَ كُلُّ من يُؤمِنُ بهِ بل تَكُونُ لهُ الحياةُ الأبديَّة،" الكلمةُ اليُونانِيَّةُ المُستَخدَمَةُ للإشارَةِ إلى "يُؤمِن" تعني أن تُلقِيَ بكامِلِ ثقلِكَ كشخصٍ عاجِزٍ يُحمَلُ من داخِلِ منزِلٍ تستَعِرُ فيهِ النِّيران (يُوحَنَّا ٣: ١٦). لم يَكُنِ الرَّسُولُ يُوحَنَّا يُفَكِّرُ بالتّوافُقِ الفكريّ عندَما إستَخدَمَ كلمة "يُؤمن."

لدَيَّ لوحَةٌ مُعلَّقَةٌ على جِدارِ مكتَبِي، وهي تقُول: "ما نُؤمِنُ بهِ فذلكَ نعمَلُهُ. وكُلُّ ما تبقَّى فهُوَ مُجرَّدُ كلامٍ دِينيّ." عندما صارَ الكلمةُ جسداً لكَي يتسنَّى لنا أن نرى حقَّ اللهِ في جسدٍ بَشَريّ، كانَ يسُوعُ يُظهِرُ لنا أيضاً أنَّ كَلِمَةَ اللهِ ينبَغي أن تَتَجَسَّدَ في حياتِكُم وحياتِي. أحدُ الرِّجالِ العِظام قالَ أنَّهُ عندما تمكُثُ كَلِمَةُ اللهِ في جسدِنا اليوم، للأسَف غالِباً ما تُصبِحُ مُجرَّدَ كلامٍ إضافِيّ.

طرحَ يسُوعُ السُّؤال، "عندما سيرجِعُ إبنُ الإنسانِ ثانِيَةً، هل سيجدُ الإيمانَ على الأرض؟" (لُوقا ١٨: ٨) هُناكَ القَليلُ منَ الإيمانِ الحَقيقيّ اليَوم، لأنَّنا لا نُدرِكُ أنَّ كَلِمَة إيمان تعني حرفِيَّاً "إلتِزامٌ كامِلٌ بالثِّقَة يُعَبِّرُ عن نفسِهِ بالطَّاعة."

فلماذا بُولُس هُوَ من هُوَ وما هُوَ عليهِ؟ دافِعُهُ لكُلِّ هذا يُوجَدُ في هذه الكلمات: "لأجلِ إسمِهِ." إسمُ اللهِ يُشيرُ إلى جَوهَرِ من وما هُوَ الله. عندما نعمَلُ شَيئاً "لأجلِ إسمِهِ،" يعني هذا أنَّنا نعمَلُهُ بإنسجامٍ معَ كُلِّ ما هُوَ الله ومعَ ما يُريدُهُ الله. ونعمَلُهُ أيضاً كتعبيرٍ عن العبادَة الشَّاكِرَة على كُلِّ ما هُوَ الله، وكُلِّ ما عمِلَهُ، وما يعمَلُهُ في حياتِنا وفي العالم من خلالِنا خلالَ سَيرِنا معَهُ.

فأينَ نَجِدُهُ كالرَّسُولِ المَدعُوّ؟ جوابُهُ هُوَ "في سائِرِ الأُمَم." في هذه الرِّسالَة، سوفَ نَجِدُ قَلبَ المُرسَل عندَ أعظَمِ مُرسَلٍ عرفَتْهُ كنيسَةُ المسيحِ على الإطلاق. وسوفَ يَصحُّ هذا بالأكثر في الإصحاح الخامِس عشَر، حيثُ يُخبِرُ بُولُس أولئكَ المُؤمنينَ في رُومية أنَّهُ رَغِبَ بِشِدَّة أن يزُورَ رُومية، لأنَّهُ أرادَ أن يحظَى بِدَعمِهِم ليُتابِعَ رحلَتَهُ إلى إسبانيا، حامِلاً لها إنجيلَ رَبِّنا يسُوع المسيح.

في هذه التَّحِيَّة، يُخبِرُنا بُولُس أيضاً من، ماذا، لماذا وأينَ هُوَ يسُوع. في سَبعَةِ أعدادٍ قصيرة، يذكُرُ بُولُس يسُوعَ سبعَ مرَّاتٍ.

فمن هُوَ يسُوع؟ أوَّلاً، يُخبِرُنا أنَّ يسُوعَ هُوَ المَوعُودُ بهِ منَ الأنبياء بالكُتُبِ المُقدَّسة. يُريدُ بُولُس منَ أهلِ رُومية، ومنِّي ومنكَ، أن نعرِفَ أنَّ ما هُوَ على وشكِ تقديمِهِ بإسهابٍ بوحيِ الرُّوحِ القُدُس، ليسَ صَرعَةً جديدة. فالأخبارُ السَّارَّةُ المُعَبَّرُ عنها بكلمة "مُبَرَّر،" ليسَت شَيئاً من وَليدِ تفكيرِهِ الخاصّ.

كانَ بإمكانِهِ أن يكتُبَ لأهلِ رومية، كما فعلَ معَ الغلاطِيِّين، أنَّهُ تعلَّمَ الكثيرَ عنِ الحقِّ الذي هُوَ على وشكِ تقديمِهِ، مُباشَرَةً منَ المسيحِ المُقام الذي إلتَقاهُ في صحراءِ العَرَبِيَّة (غلاطية ١- ٢: ١٣). وبما أنَّهُ كانَ يُخاطِبُ اليَهُودَ أوَّلاً، ثُمَّ العقلَ الرُّومانِيَّ الأُمَمِيّ، كتبَ أنَّ إنجيلَ الخلاصِ هذا هُوَ شَيءٌ أُظهِرَ نَبَوِيَّاً في العهدِ القَديم منذُ آلافِ السِّنين. يُخاطِبُ بُولُس

القارئَ اليَهُودِيّ بمُشارَكَةِ وُجهَةِ نظَرِ العهدِ القَديم، ويُريدُ أن يعرِفَ قُرَّاؤُهُ الأُممَ أنَّ هذا ما خَطَّطَ لهُ اللهُ منذُ الأزَل.

إذا دَرَستَ أسفارَ العهدِ القَديم، ستكتَشِفُ أنَّها كُلَّها تتكلَّمُ عن يسُوع المسيح. وإذا كُنتَ قد دَرستَ معي إنجيلَ لُوقا، سوفَ تَتَذَكَّرُ أنَّهُ في الإصحاحِ الأخير من إنجيلِ لُوقا، نُخبَرُ أنَّ يسُوعَ فتحَ الأسفارَ المُقدَّسَةَ أمامَ الرُّسُل، عندما أخبَرَهُم شيئاً عن هذه الأسفار. لقد أخبَرَ يسُوعُ تلاميذَهُ أنَّ مُوسى، وكُتَّابَ المزامير والأنبياء جميعهُم كتبُوا عنهُ.

عندما أعطَى يسُوعُ الرُّسُلَ هذه النَّظرة عنِ العهدِ القَديم، نقرأُ أنَّهُ "فتحَ ذهنَهُم ليَفهَمُوا الكُتُب." (لُوقا ٢٤: ٢٥ – ٢٧، ٤٤، ٤٥). ولقد فَهِمَ الرُّسُلُ الكُتُبَ المُقدَّسَة لأوَّلِ مرَّةٍ في حياتِهم عندما فَهِمُوا ما قالَهُ بُولُس لمُؤمنين كنيسة رُومية في تحيَّتِهِ لهُم: العهدُ القَديمُ هُوَ بالحقيقَةِ الأساس والإطار التَّاريخيّ الذي منهُ يُفهَمُ الإنجيلُ ويُبَرهَن. فهُوَ سيشرَحُ هذا الإنجيل بِطَريقَةٍ عميقَةٍ ولكنَّها بَسيطَة، في هذه التُّحفَة الفَريدة من بينِ كُلِّ رسائِلِهِ المُوحَى بها منَ الرُّوحِ القُدُس. ولكن، قبلَ أن يفعَلَ ذلكَ، يُؤكِّدُ أنَّ الإنجيلَ مُرسَّخٌ في العهدِ القَديم.

كتبَ بُولُس أيضاً عن يسُوع "...الذي صارَ منَ نَسلِ داوُد من جِهَةِ الجَسَد. وتَعَيَّنَ إبنَ اللهِ بِقُوَّةٍ..." (رومية ١: ٣- ٤) يُعلِنُ بُولُس في هذه الكلمات أنَّ يسُوعَ كانَ كائناً بَشَرِيّاً. عندما يُخبِرُنا بُولُس أنَّ يسُوعَ تَعَيَّنَ إبنَ اللهِ بِقُوَّةٍ، كانَ يُشيرُ إلى قيامَةِ يسُوع المسيح، وكانَ يُعلِنُ أنَّ يسُوعَ كانَ أكثَرَ من مُجَرَّدِ كائنٍ بَشَرِيّ.

ثُمَّ يُخبِرُ بُولُس مُؤمني رُومية – ويُخبِرنا نحنُ اليومَ أيضاً – من هُوَ المُؤمنُ، عندما يَكتُبُ قائِلاً: "الذين بينَهُم أنتُم أيضاً مَدعُوُّو يسُوع المسيح. إلى جَميعِ المَوجُودِينَ في رُومية أحبَّاء الله مَدعُوِّينَ قِدِّيسين." (رومية ١: ٦- ٧) لقد سبقَ ووصفَ هذا الرَّسُولُ العَظيمُ نفسَهُ بأنَّهُ رَسُولٌ مَدعُوٌّ. ولقد سَبَقَ ورأَينا أنَّ هذه الكلمة "مَدعُوّ" هي مفهُومٌ هامٌّ بالنِّسبَةِ لبُولُس. والآن ها هُوَ يُخبِرُ أُولئكَ الذينَ يكتُبُ لهُم أنَّ كُلَّ مُؤمِنٍ هُوَ مَدعُوٌّ. ونحنُ مَدعُوُّونَ "قدِّيسين". هذه الكَلِمة تُشيرُ إلى واحِدَةٍ من طُرُقِ بُولُس بالإشارَةِ إلى أتباعِ المسيح. فالكلمَةُ هي بِبَساطَةٍ الطريقَةُ المُختَصَرَة للقَولِ بأنَّ شخصاً ما مُقدَّس.

يُوجَدُ تعريفٌ تقليديٌّ وكتابِيٌّ للقِدِّيس. التَّعريفُ التَّقليديُّ الطَّقسيّ هُوَ أَنَّهُ عندما يُطابِقُ أحدُ خُدَّامِ الرَّبّ غير الإعتِيادِيِّين بعضَ المَعايير، يَتِمُّ تطويبَهُ وإعلانُهُ قدِّيساً قانُونيَّاً. ولكن ليسَ هذا هُوَ التَّعريفُ الكتابِيُّ للكلمة. فبِحَسَبِ العهدِ الجديد، كُلُّ مُؤمِنٍ هُوَ قدِّيسٌ، لأَنَّهُ مُقدَّسٌ أو مَفرُوزٌ للمسيح منَ العالم.

تَشديدُ كلمةِ اللهِ ليسَ أَنَّهُ مفصُولٌ عنِ الخطيَّة، رُغمَ أَنَّهُ عندما يُفرَزُ أحدٌ لإتِّباعِ المسيح، فهذا يعني أَنَّهُ عليهِ أن ينفَصِلَ عنِ الخطيَّة. التَّشديدُ الرَّئيسُ هو أنَّ القدِّيسين أو المُقدَّسِين هُم مفرُوزُونَ لأجلِ المسيح. عندما يكُونُ التَّشديدُ الأساسيُّ هُوَ على الإنفصالِ عنِ الخطيَّة، غالِباً ما يَقُودُ هذا التَّعليمُ عنِ التَّقديس إلى شكلٍ من أشكالِ النَّامُوسيَّةِ القاسِيَة، أو القوانين التي تَقُولُ بما يُسمَحُ أو يُمنَعُ على المُؤمن المُقدَّس أن يعمَلَهُ.

عندما يأتي تقديسُنا منَ الخارِج إلى الدَّاخِل، بدلَ أن ينبعَ منَ الدَّاخِلِ إلى الخارِج، نُسَمِّي هذا "بالنَّامُوسيَّة". فالتَّقديسُ الحقيقيُّ ينبعُ منَ الحقيقَةِ المجيدة أنَّ المُؤمِنَ مُنفَصِلُ ومفرُوزٌ لأجلِ المسيحِ الحَيِّ المُقام، الذي يحيا فينا، والذي تُحزِنُهُ الخَطيَّة – أي الأشياء التي تتَعارضُ معَ مَشيئَتِهِ، والتي قد يقعُونَ فيها. عندَما ينفَصِلُ أتباعُ المَسيح الحَقيقيُّونَ عنِ الخَطيَّة، لأَنَّهُم مَفرُوزُونَ ليسُوع المسيح، يُسمَّى هذا بالتَّقديس. فالتَّقديسُ الكتابِيُّ الحقيقيُّ مَبنِيٌّ على علاقَتِنا الشَّخصِيَّة معَ المسيح، بدَل أن يُبنَى على أساسِ قوانين وضَعها النَّاسُ لتنظيمِ إنفصالِنا عنِ الخطيَّة.

إنَّ كَلِمَة "مُقَدَّس" لا يُقصَدُ منها أنَّ المُقدَّسِينَ مُنَزَّهُونَ عنِ الخطيَّة. فبُولُس يُشيرُ إلى المُؤمنينَ الكُورنثِيِّينَ بأَنَّهُم مُقَدَّسُون، ثُمَّ يُواجِهُهُم بلائِحَةٍ طويلَةٍ منَ الخطايا التي كانت مَوجُودَةً في كنيسةِ كُورنثُوس. يُرينا هذا أنَّ المُقدَّسينَ ليسُوا أُناساً بلا خَطيَّة، بل هُم أُناسٌ مَفرُوزُونَ ليسُوع المسيح، ولإتِّباعِ يسُوع المسيح. عندما يَتِمُّ فرزُهُم تماماً للمسيح، ينفَصِلُونَ كُلِّيَّاً عنِ الخطيَّة. هذا هُوَ الهَدَفُ الصَّريحُ لهذا التَّعليم في العهدِ الجديد. ولكنَّنا طالَما لا نزالُ في هذا الجسدِ الإنسانِيِّ، علينا أن نُصارِعَ لنحيا الحياة المُنفَصِلَة عنِ الخَطيَّة ولأجلِ المسيح. (رُومية ٧: ١٤- ٨: ٢).

ثُمَّ يُتابِعُ بُولُس تحيَّتَهُ معَ بَرَكَةٍ نَجِدُها بشكلٍ أو بآخر في كُلِّ رسائِلِ بُولُس: "نعمَةٌ لكُم وسلامٌ منَ اللهِ أبينا والرَّبِّ يسُوع المسيح." (رُومية ١: ٧)

تستَمِرُّ التَّحِيَّةُ عبرَ الأعدادِ السِّتَّة عَشَر، إذ يُخبِرُ بُولُس هؤُلاء القِدِّيسينَ في رُوما أنَّهُ سَمِعَ بإيمانِهِم في كُلِّ العالم. وكما أشَرتُ سابِقاً، رُغمَ أنَّهُ لم يَكُنْ قد ذَهَبَ بعد إلى رُوما، ولكنَّهُ إلتَقى بمُؤمنينَ من تلكَ المدينَة مُنتَشرينَ في مُدُنٍ أُخرى منَ الأمبراطُوريَّةِ الرُّومانِيَّة.

كتبَ يَقُولُ في العددِ التَّاسِع: "فإنَّ اللهَ الذي أعبُدُهُ بِرُوحي في إنجيلِ إبنِهِ شاهِدٌ لي كيفَ بلا إنقطاعٍ أَذكُرُكُم مُتَضَرِّعاً دائماً في صَلواتِي..." مُؤمِنُو اليَوم يَقُولُونَ لبَعضِهِم البَعض، "أنا أُصَلِّي لأجلِكَ كُلَّ يَومٍ،" ولكن السُّؤال هُو هل يتذَكَّرُونَ أن يُصَلُّوا بأمانَة؟ عندما كتبَ بُولُس هذه الكلمات، لم يَكُن يُقدِّمُ وُعُوداً سطحيَّةً. لاحِظُوا أنَّهُ يكتُبُ قائِلاً: "اللهُ شاهِدٌ لي (أي اللهُ يعرِفُ) أنَّني بِلا إنقطاعٍ (أي بإستِمرار) أتَذَكَّرُكُم في صَلواتِي."

بَينما تقرَأُونَ هذه الرَّسائِل المُوحَى بها لبُولُس الرَّسُول، لاحِظُوا كُلَّ مكانٍ يُشيرُ فيهِ إلى هذا الإلتِزام أو الوعد الصَّادِق بالصَّلاةِ من أجلِ فَردٍ أو مجمُوعَةٍ منَ المُؤمنين. وسوفَ ترونَ عندَها أنَّ بُولُس كانَ لدَيهِ لائِحَةُ صلاةٍ طويلَةً جدَّاً، وأنَّهُ كانَ يقضي ساعاتٍ طَويلَةً في الصَّلاة. فإذا فَهِمنا قُوَّةَ الصَّلاة، سوفَ تَكُونُ لدينا أيضاً لائحَةُ صلاةٍ طويلَة، وسوفَ نقضي أوقاتاً طويلَةً في الصَّلاة، ليلاً ونهاراً، وسنختَبِرُ إستجاباتٍ لصلواتنا، تماماً كما إختَبَرَ هذا الرسُول المَحبُوب إستجاباتٍ رائِعة لصلواتِهِ.

كتبَ بُولُس أنَّهُ صَلَّى بأمانَةٍ لأجلِهِم، وأنَّهُ كانَ يتشوَّقُ للِّقاءِ بهِم، وأنَّهُ حاوَلَ زيارَتَهُم في عدَّةِ مُناسباتٍ. ولكن في كُلِّ مرَّة كانَ يُعاقُ من زيارَتِهم. كانَ هَدَفُهُ من زيارتِهم أن يحمِلَ إليهِم موهِبَةً رُوحيَّةً، وأن يمنَحَهُم الفُرصة بأن يُساهِمُوا بِبَركاتٍ عظيمَةٍ في حياتِهِ الرُّوحيَّة (١١- ١٢). لقد عَرَفَ بُولُس أنَّ المسيحَ المُقامَ يحيا في تلاميذِهِ المُتَجدِّدين وأنَّ بركةً عظيمَةً تنتَقِلُ بينَهُم عندَما يلتَقُونَ بِبَعضِهِم البَعض.

الوصفُ الذَّاتِيُّ المُثَلَّث لبُولُس الرَّسُول (١٣- ١٦)

في القِسمِ الثَّانِي من تحيَّتِهِ، يبدأُ بُولُس بالفِعل رسالَتَهُ العميقَة، الشَّامِلَة والمُوحاة التي هي بِمثابَةِ تقديمٍ لإنجيلِ الخلاص، وذلكَ برَبطِ الضمير المُتكلِّم المُفرَد "أنا" برسالَةِ الإنجيل ثلاثَ مرَّاتٍ. كتبَ بُولُس يَقُولُ، "أنا مَديُونٌ لِليُونانِيِّين والبَرابِرَة، لِلحُكَماءِ والجُهَلاء." (١٤) وهُوَ يُعلِنُ أنَّهُ مَديُونٌ لكُلِّ شَخصٍ يلتَقيه.

في تلكَ الحضارة، كانَت تُلصَقُ سُمعَةٌ سَيِّئة بكُلِّ شَخصٍ مَديُون. وكانَ الدَّيْنُ يُشكِّلُ مُشكِلَةً خطيرة، لأنَّهُ كانَ قد يَقُودُ المَديُونَ إلى السِّجن. فلم يَكُنِ الدَّينُ مُخجِلاً فحَسب، بل إذا عجزَ مَديُونٌ عن سَدِّ دَينِهِ، كانَ يُعتَبَرُ الدَّينُ جريمَةً يُعاقِبُ عليها بالسِّجنِ أُولئكَ المَديُونِينَ الذين لا يستطيعُونَ أن يُوفُوا بِدُيُونِهم. وفي إطارِ تلكَ الحضارَة، كانَ بُولُس يَقُولُ لقُرَّائِهِ أنَّهُ إتَّخَذَ الخيارَ الطَّوعِيّ بأن يجعلَ نفسَهُ مديُوناً لِكُلِّ كائنٍ بَشَرِيٍّ يلتَقيهِ، بمعنَى أنَّهُ سيخدُمُ هذا الشَّخص بأيَّةِ طريقَةٍ مُمكِنَة، ليتمكَّنَ من تقديمِ الإنجيلِ لهُ.

ثُمَّ كتبَ يَقُولُ، "فهكذا ما هُوَ لي مُستَعَدٌّ لِتَبشِيرِكُم أنتُم الذين في رُومية أيضاً." (رُومية ١: ١٥) الكلمة "مُستَعَدٌّ" تعني "مُتَشَوِّقٌ"، ويشرَحُ بُولُس لماذا كانَ مُتَشَوِّقاً ليكرِزَ بالإنجيلِ في رُوما. فلقد كانَ بُولُس قد أعلنَ بِشارَةَ الإنجيل وأحرزَ نتائجَ خارِقَة للطَّبيعة في أماكِنَ عدَّة، ولا سِيَّما في مُدُنٍ فاسِدة مثل أفسُس، فيلبِّي، وكُورنثُوس. ونتيجَةً لإعلانِهِ الجريءِ للإنجيل، كانَ قد أسَّسَ كنائِسَ قَويَّة في تلكَ المُدن. لهذا كانَ مُتَشَوِّقاً للكرازَةِ بالإنجيل في رُوما أيضاً، لأنَّهُ كانَ مُقتَنِعاً أنَّ الرُّوحَ القُدُسَ سوفَ يُجَدِّدُ خُطاةً في رُوما، عندما سيسمَعُونَ الإنجيل، تماماً كما رأى الرُّوحَ القُدُسَ يُحَقِّقُ هذه المُعجِزَة في عواصِمَ أُخرى منَ العالَمِ الأُمَمِيّ.

يَقُودُنا هذا إلى تصريح بُولُس الثَّالِث الذي يحتَوي على الضَّمير "أنا." قالَ بُولُس: "لأنِّي [أنا] لَستُ أستَحي بإنجيلِ المسيح، لأنَّهُ قُوَّةُ اللهِ للخَلاص لِكُلِّ من يُؤمِن، لِليَهُودِيّ أوَّلاً ثُمَّ لِليُونانِيّ." (رومية ١: ١٦)

إذا إستَطلَعتَ العهدَ الجديدَ معي، ستَتَذَكَّرُ أنَّهُ بِمقارَنَةِ مقطَعٍ من سِفرِ الأعمال معَ بضعَةِ أعدادٍ من رِسالَةِ بُولُس الرَّسُول إلى أهلِ كُورنثُوس، نتعلَّمُ أنَّهُ في مدينَةِ كُورنثُوس، إجتازَ بُولُس في إختِبارٍ غَيَّرَ جذرِيّاً فلسَفَتَهُ

لِلكِرازَةِ بالإنجيل. فإذ كانَ على وَشَكِ البَدءِ بالكرازَةِ بالإنجيل في مَدينَةِ كُورنثُوس، ظهَرَ لهُ الرَّبّ.

ولقد قالَ الرَّبُّ لبُولُس، بطريقَةٍ أو بأُخرى، "لا تَخَفْ يا بُولُس، فلدَيَّ نُفُوسٌ كثيرَةٌ في هذه المدينة. أنتَ فقط أعلِن الإنجيلَ بِشجاعَة، وسوفَ تكتَشفُ من هي تلكَ النُّفُوس." (أعمال ١٨: ٩ و١٠؛ ١كُورنثُوس ٢: ١-٥؛ ١٥: ١- ٤) من تلكَ المَرحَلَة فصاعِداً في وعظِهِ التَّبشِيريّ، أعلنَ بُولُس بِبَساطَةٍ حقيقَتَينِ عن يسُوع المسيح، اللَّتَينِ تُشَكِّلانِ الإنجيل. ولقد شارَكَ أيضاً بماذا يعنيهِ الإيمانُ بهاتَينِ الحقيقَتين بالنِّسبَةِ لهُ عندما طبَّقَهما على إيمانِهِ الشَّخصِيّ وعلى حياتِهِ الشَّخصِيَّة في المسيح. ثُمَّ آمنَ بأنَّ الرُّوحَ القُدُسَ سيُحَرِّكُ أُولئكَ الذينَ سَمِعُوا الإنجيل ليُؤمِنُوا ويختَبِرُوا الخلاص.

وبينما كتبَ هذا الرَّسُولُ ثلاثَة مرَّاتٍ عن نفسِهِ، "أنا"، أخبَرَ بِذلكَ المُؤمنينَ في كنيسةِ رومية عمَّن هُوَ. إنَّهُ عبدُ يسُوع المسيح، وعبدُ كُلّ شَخصٍ يلتَقيهِ في هذه الحياة، لأنَّهُ كانَ مأخُوذاً بِشِدَّة بإعلانِ الإنجيل، وبِقيادَةِ الناسِ الذين يلتَقيهِم في هذه الحياة للخلاص. لقد كانَ مُتَشَوِّقاً ليَكرِزَ بالإنجيل في رُوما، وهُوَ لا يستَحي بإنجيلِ المسيح، لأنَّهُ رأى كيفَ تُغَيِّرُ نعمَةُ اللهِ العجائِبِيَّة حياةَ الناس، عندما يُكرَزُ بالإنجيل فيُؤمِنُ الخُطاة.

الفَصلُ الثَّالِث

"الإنجيلُ بِحَسَبِ بُولُس"

(رومية ١: ١٧- ٣٢)

الكَلِماتُ الأخيرَةُ من تحيَّةِ بُولُس تُمَهِّدُ لهُ الطَّريق ليَبدَأَ تُحفَتَهُ اللاهُوتيَّة. رُغمَ أنَّنا تأمَّلنا في برامِجِنا الإذاعيَّة بهذه الأعداد بالتَّفصيل، سوفَ أكتَفِي بتَلخيصِها في هذا الكُتَيِّب. عندما يُعلِنُ أنَّهُ لا يستَحِي بالإنجيل، يُتْبِعُ هذا الإدِّعاء بِتَصريحٍ يَقُولُ فيهِ أنَّ الإنجيلَ يَكشِفُ حَقيقَتَينِ عظيمَتَين عنِ الله: يُعلِنُ الإنجيلُ بِرّاً يُعطَى من اللهِ لكَ ولي، إذ نكتَسِبُهُ بالإيمان. ويُعلِنُ الإنجيلُ أيضاً غضبَ اللهِ على الذين ليسُوا أبراراً (١٦- ١٨).

كمُقَدِّمَةٍ لهذه التُّحفَة اللاهُوتيَّة لبُولُس، أوَدُّ أن أُقَدِّمَ لمحَةً مُوجَزَةً عنِ الإصحاحاتِ الأربَعَةِ الأُولى من رسالَةِ بُولُس إلى أهلِ رُومية، الأمرُ الذي

تعلَّمْتُهُ من أحدِ اللاهُوتِيِّينَ ودارِسي الكتابِ المُقدَّس، الدُّكتُور David Stuart Briscoe:

"في الإصحاحاتِ الأربَعة الأُولى من رسالَةِ بُولُس هذه، يُخبِرُنا ما هُوَ الله: اللهُ بارٌّ. ثُمَّ يُخبِرُنا ماذا يُريدُ اللهُ منِّي ومنكَ أن نَكُون: يريدُنا اللهُ أن نَكُونَ أبراراً. ثُمَّ يُخبِرُنا عمَّن يدينُهُ الله: اللهُ يَدينُ كُلَّ من ليسَ بارَّاً. ثُمَّ يُخبِرُنا بُولُس عمَّا يعرِفُهُ الله: اللهُ يعرِفُ أنَّنا بِجُهُودِنا الشَّخصِيَّة لن نَستَطيعَ ولا بِمليُونِ سنَةٍ منَ المُحاوَلَةِ بأن نُصبِحَ أبراراً بشكلٍ كافٍ لنُخَلِّصَ نفُوسَنا بأعمالِنا الصَّالِحة. هذه الحقائِق عنِ اللهِ قد يَتِمُّ وصفُها بالأخبارِ السَّيِّئَة."

"هذا يَقودُ بُولُس للحَديثِ عنِ الأخبارِ السَّارَّة – والتي تُشَكِّلُ قَلبَ ورُوحَ هذه الرِّسالَة الرَّائعَة – عندما يُخبِرُنا عمَّا عَمِلَهُ الله. فلقد جاءَ اللهُ إلى هذا العالم بِشَخصِ إبنهِ وقدَّمَهُ كالذَّبيحَةِ الوحيدة التي تستطيعُ أن تُخَلِّصَنا من خطايانا وتُمَكِّنُنا من أن نُعلَنَ أبراراً من قِبَلِ الله. ثُمَّ يُخبِرُنا بُولُس عمَّا يُريدُنا اللهُ أن نعمَلَ: اللهُ يُريدُنا أن نُؤمِنَ بهِ عندما يُخبِرُنا في كَلِمَتِهِ عمَّا فعلَهُ لأجلِ خلاصِنا من خطايانا ومن أجلِ إعلانِنا أبراراً."

هذا الجزءُ الأوَّلُ من تفسيرِ بُولُس العميق والشامِل للإنجيل، نَجِدُهُ مُلَخَّصاً في العددِ الأوَّل من الإصحاحِ الخامِس، عندما يكتُبُ قائِلاً: "فإذ قد تَبَرَّرنا بالإيمان، لنا سلامٌ معَ اللهِ بِرَبِّنا يسُوع المسيح."

عندما يكتُبُ بُولُس أنَّ بِرَّ اللهِ مُعلَنٌ في الإنجيل، يُضِيفُ على هذا القَول جوهَرَ رسالَةِ النَّبِي حبقُّوق، عندما كتب قائِلاً: "لأنَّ فيهِ مُعلَنٌ بِرُّ اللهِ بإيمانٍ لإيمان كما هُوَ مكتُوبٌ أمَّا البَارّ فبالإيمانِ يحيا." (رومية ١: ١٧؛ حبقُّوق ٢: ٤) هذا هُوَ العدد الذي إستَخدَمَهُ اللهُ ليُحَرِّكَ قَلبَ مارتن لُوثر، والذي أصبحَ القُوَّة الدَّافِعة للإصلاحِ الإنجيليّ. فبِمعنىً ما، كُلُّ طائِفَةٍ إنجيليَّة تَدينُ بِوُجُودِها لهذا العددِ الفَريد منَ الكتابِ المُقَدَّس.

فعندما قرأَ مارتن لُوثر هذا العدد، كانَ المُؤمِنُونَ يتعلَّمُونَ أنَّ الخلاصَ كانَ مُؤَسَّساً على أعمالِ البِرّ الصَّالِحة. وكانَ لُوثر يسعَى نحوَ هذا النَّوع منَ الخلاص، وذلكَ بِرحلَةٍ ماراثُونيَّةٍ طويلة من أعمالِ الإماتَةِ والبِرِّ الذَّاتِيّ، التي كانت تتضمَّنُ جَلدَ النَّفسِ بالسَّوط، وإماتاتٍ مثل صُعُود الأدراج على رُكَبِهِ، ظانّاً أنَّهُ بذلكَ يكسَبُ خلاصَهُ. هل بإمكانِكَ أن تتصوَّر كيفَ قفَزَت هذه الكلماتُ من على صفحَةِ الكتابِ المُقدَّس إلى أمامِ وجهِ

لُوثَر في ذلكَ الصَّباح: "...لأنَّ فيهِ مُعلَنٌ بِرُّ اللهِ بإيمانٍ لإيمان كما هُوَ مكتُوبٌ أمَّا البَارّ فبالإيمانِ يحيا." كتبَ لُوثَر قُربَ العَدَد ١٧ من رُومية ١، على هامِشِ النَّسخَةِ اللاتِينيَّة للكتابِ المُقدَّس، الكلمة اللاتِينيَّة "Sola"، أي "وحدَهُ." لقد بدأَ لُوثَر يفهَمُ أنَّهُ بالإيمانِ وحدَهُ، وليسَ بالأعمالِ، يتبرَّرُ الإنسان.

وصلَ بُولُس هُنا إلى تقديمِهِ العميق والشَّامِل للإنجيل. بعدَ أن كانَ قد بدأَ الحديث عنِ الأخبارِ السَّارَّة النَّاتِجَة عنِ البِرِّ الذي بالإيمان، يتكلَّمُ بعدَها عن الحقيقَةِ الثَّانِيَة، عن اللهِ المُعلَن عنهُ في الإنجيل: الطريقَةُ التي ينطَبِقُ بها غَضَبُ اللهِ على كُلِّ الأُمَمَة، حيثُ يكتُبُ قائِلاً: "لأنَّ غَضَبَ اللهِ مُعلَنٌ منَ السَّماءِ على جَميعِ فجُورِ النَّاسِ وإثمِهِم، الذين يحجُزُونَ الحَقَّ بالإثم."

ثُمَّ ينتَقِلُ بُولُس إلى دِراسَتِهِ المُوحَى بها عن طبيعَةِ اللهِ وطبيعَةِ الإنسان، كما كانت في ذلكَ الزَّمان، وكما هي عليهِ الآن. في سفرِ التَّكوِين، نجدُ دراسَةً مُشابِهَةً عنِ اللهِ والإنسان، عندما ظهَرا على حَقيقَتِهِما. (كلمة "إنسان" تُستَخدَمُ بالمعنَى الشَّامِل في الكتابِ المُقدَّس، ولا يُقصَدُ منها الرِّجالُ بإستِثناءِ النِّساء.)

لقد أظهَرَ لنا يسُوعُ كيفَ نُفَسِّرُ مقاطِعَ مثل تلكَ التي كتبَها بُولُس ومُوسَى. فعندما طُرِحَ على يسُوع سُؤالٌ عنِ الزَّواج، قالَ بِكَلِمَةٍ أَو بأُخرى، "إذا أردتَ أن تفهَمَ الزَّواجَ كما هُوَ الآن، عليكَ أن ترجِعَ إلى البِدايَةِ وأن تفهَمَ الزَّواجَ كما خطَّطَ اللهُ لهُ أن يكُونَ في ذلكَ الزَّمان." (متَّى ١٩: ٣- ١٢) يُخبِرُنا بُولُس عن سُقُوطِ العائِلَة البَشَريَّة كما كانَ، لأنَّهُ يُريدُنا أن نفهَمَ طبيعَةَ العائِلَةِ البَشَريَّة ومشاكِلَها كما هي عليهِ الآن.

لاحِظُوا أنَّهُ إبتداءً منَ العدد ١٨، يكتُبُ بُولُس مقطَعاً لا يُعتَبَرُ مُحَبَّباً بينَ مقاطِعِ الكتابِ المُقدَّس للدراسَة، أو على الأقل هذا المقطع ليسَ المَقطَعَ المُفضَّلَ عندي في الكتابِ. كُلُّ الكِتابِ هُوَ مُوحَىً بهِ منَ اللهِ، ولكنَ ليسَ بالضَّرُورَةِ كُلُّ الكتابِ مُوحٍ أو مُمتِعٍ في قراءَتِه. ولكن رُغمَ عدم كَونِ هذا المقطع منَ المقاطِعِ المُنيرَة في الكتابِ المُقدَّس، إلا أنَّهُ من المقاطِعِ الواقِعيَّةِ العميقة. وهُوَ يبدَأُ بقَولِهِ لنا، "لأنَّ غَضَبَ اللهِ مُعلَنٌ منَ السَّماء على جَميعِ فُجُورِ النَّاسِ وإثمِهِم، الذين يحجُزُونَ الحَقَّ بالإثم." (رُومية ١: ١٨)

لاحِظُوا أنَّ غَضَبَ اللهِ مُوجَّهٌ لأمرَين: فُجُور النَّاس وإثم النَّاس. يُخبِرُنا المُفسِّرُونَ البارِعُونَ للكتابِ المُقدَّس بأنَّ هذا لهُ علاقَةٌ بكَونِ الوصايا العَشَر قد أُعطِيَت على لَوحَين. اللوحَةُ الأُولى أُدرِجَت عليها الوصايا التي نظَّمَت علاقَةَ الإنسانِ بالله. كانت تُوجَدُ سِتَّةُ وصايا على اللَّوحَةِ الثَّانِيَة، التي كانت تُنَظِّمُ علاقَةَ الإنسانِ معَ أخيهِ الإنسان.

يعتقِدُ هؤُلاء المُفسِّرُون أنَّهُ بما أنَّ هذه الوصايا الأربَعة الأُولى تُظهِرُ لشَعبِ اللهِ كيفَ يَكُونُون أتقِياء، فعندما يُشيرُ بُولُس إلى "فُجُورِ النَّاس،" يقصِدُ بذلكَ خرقَ أوَّل أربَع وصايا منَ النَّامُوس. بكَلِماتٍ أُخرى، عندما ينتَهِكُ الإنسانُ الوَصَايا الأربَع الأُولى، يُعتَبَرُ فاجِراً، أي مُخطِئاً ضِدَّ الله، "لا يَكُنْ لكَ آلِهَة أُخرى أمامِي. لا تَصنَعْ لكَ تِمثالاً منحُوتاً ولا صُورَةً ما مِمَّا في السَّماءِ من فَوق، وما في الأرضِ من تحتُ، وما في الماءِ من تحتِ الأرض. لا تَسجُدْ لهُنَّ ولا تَعبُدُهُنَّ. لأنِّي أنا الرَّبُّ إلهَكَ إلهٌ غَيُورٌ أفتَقِدُ ذُنبَ الآباءِ في الأبناءِ في الجيلِ الثَّالِث والرَّابِع من مُبغِضِيَّ. وأصنَعُ إحساناً إلى أُلُوفٍ من مُحِبِّيَّ وحافِظِي وصاياي. لا تَنطِقْ بإسمِ الرَّبِّ إلهكَ باطلاً. لأنَّ الربَّ لا يُبرِئُ من نطَقَ بإسمِهِ باطِلاً. أُذكُرْ يومَ السَّبتِ لِتُقَدِّسَهُ. ستَّةَ أيَّامٍ تعمَلُ وتصنَعُ جَميعَ عمَلِكَ. وأمَّا اليَومُ السَّابِعُ فَفِيهِ سَبتٌ لِلرَّبِّ إلهِكَ. لا تَصنَعْ عملاً ما أنتَ وإبنُكَ وإبنَتُكَ وعَبدُكَ وأَمَتُكَ وبَهِيمَتُكَ ونَزِيلُكَ الذي داخِلَ أبوابِكَ. لأنْ في سِتَّةِ أيَّامٍ صَنَعَ الرَّبُّ السَّماءَ والأرض والبَحرَ وكُلَّ ما فيها. وإستَراحَ في اليَومِ السَّابِع. لذلكَ بارَكَ الرَّبُّ يومَ السَّبتِ وقدَّسَهُ." (خُرُوج ٢٠: ٣- ١١)

وبما أنَّ الوَصايا السِّتّ الباقِيَة على اللَّوحَةِ الثَّانِيَة تَرعَى علاقاتِ شَعبِ اللهِ معَ بعضِهِم، فإذ يُشيرُ بُولُس إلى "الإثم"، يقصُدُ خرقَ الوصايا السِّتّ المَوجُودة على اللَّوحَةِ الثَّانِيَة. عندما فَشِلَ شعبُ اللهِ بأن يعمَلَ الصَّوابَ في علاقاتِهِم، وقعُوا في الإثم: "أكرِمْ أباكَ وأُمَّكَ لِكَي تَطُولَ أيَّامُكَ على الأرض التي يُعطيكَ إيَّاها الرَّبُّ إلهُكَ. لا تَقتُلْ. لا تَزنِ. لا تَسرِقْ. لا تَشهَدْ على قَريبِكَ شَهادَةَ زُورٍ. لا تَشتَهِ بَيتَ قَريبِكَ. لا تَشتَهِ إمرأَةَ قَريبِكَ ولا عَبدَهُ ولا أَمَتَهُ ولا ثَورَهُ ولا حِمارَهُ ولا شَيئاً مِمَّا لِقَريبِكَ." (خُرُوج ٢٠: ١٢- ١٧).

عندَما يكتُبُ بُولُس أنَّ جوابَ اللهِ على الفُجُورِ والإثم هُوَ غَضَبُ الله، علينا أن نسألَ أنفُسَنا: "ماذا يقصُدُ بُولُس، مُوسَى، الأنبِياء، وباقي كُتَّابِ الأسفارِ الإلهيَّةِ المُقدَّسة، عندما يُشيرُونَ إلى غَضَبِ الله؟ يعتَقِدُ الكَثيرُونَ أنَّ مَفهُومَ غَضبِ اللهِ يُوجَدُ فقط في العهدِ القَديم، وأنَّهُ سابِقٌ للتَّارِيخ، بِدائِيٌّ، وهُوَ مفهُومٌ للهِ أنارَ الأتقياءَ ليُؤمِنُوا بهِ. ولكن كم منَ الوَقتِ مضى منذُ أن سَمِعتَ لآخِرِ مرَّةٍ عظَةً عن غَضَبِ الله؟ أو قد نسأَلُ، "هل سمعتَ في حياتِكَ، ولو لِمَرَّةٍ واحدَةٍ، عِظَةً عن غَضَبِ الله؟"

طَبيعَةُ الإنسان

ثلاثَ مرَّاتٍ في وصفِهِ لكيفيَّةِ سُقُوطِ طَبيعَةِ الإنسان، كتبَ بُولُس قائِلاً، "أسلَمَهُم اللهُ" (رُومية ١: ٢٤، ٢٦، ٢٨). هذا لا يعني أنَّ اللهَ فقدَ الأملَ منَ الإنسان. بل يعني أنَّ اللهَ أسلَمَهُم لما كانُوا يرغَبُونَ بهِ. وفي كُلِّ مَرَّةٍ يحدُثُ هذا الأمر، تَجِدُونَ إتِّهاماتِ اللهِ على الإنسان، وأجوبَة الله للإنسان، والعواقِب الأخلاقيَّة التي يسمَحُ اللهُ بأن تحدُثَ للإنسان. يُمكِنُ تَسمِيَةُ هذا المقطَع، "دِراسَة لسُقُوطِ العائِلة البَشريَّة أخلاقيَّاً أو أدَبيَّاً."

أوَّلُ إتِّهامٍ منَ اللهِ ضِدَّ الإنسان كانَ ولا يزالُ، "يحجُزُونَ الحَقَّ بالإثم." وهذا ينسَجِمُ معَ تعريفِ الخطيَّة، كما نتعلَّمُهُ من يسُوع في إنجيلِ يُوحَنَّا. والتَّعريفُ هُو: "بِدُونِ نُور، لا خَطِيَّة."

عندما قالَ يسُوعُ أنَّهُ كانَ نَوعاً منَ النُّورِ الذي أعطى بَصَراً لأُولئكَ الذينَ عَرَفُوا أنَّهُم كانُوا عُميان رُوحيَّاً، وأُعلِنَ عماهُم الرُّوحِيُّ من خلالِ أُولئكَ الذينَ كانُوا يتبجَّحُونَ قائِلينَ أنَّهُم يُبصِرُونَ، أي الفَرِّيسيُّون الذين سألُوا يسُوعَ إذا كانَ يقصُدُ بكلامِهِ أن يتَّهِمَهُم أنَّهُم عُميان؟ فكانَ جوابُهُ لهُم، "لو كُنتُم عُميانٌ، لما كانت لكُم خَطِيَّة. ولكن الآن تَقُولُونَ إنَّنا نُبصِر، فخَطِيَّتُكُم باقِيَة." في مُناسَبَةٍ أُخرى، قالَ يسُوع، "لو لم أَكُنْ قد جِئتُ وكَلَّمتُهُم لم تَكُنْ لهُم خَطِيَّة. وأمَّا الآن فليسَ لهُم عُذرٌ في خَطِيَّتِهِم." (يُوحَنَّا ٩: ٤٠، ٤١؛ ١٥: ٢٢).

هذا الإتِّهامُ الأوَّلُ من اللهِ ضِدَّ الإنسان، كما كانَ في ذلكَ الزَّمان وكما هُوَ عليهِ الآن، يَصِفُ الطريقة التي يحجُزُ بها الإنسانُ عمداً النُّورَ، أو الحق الذي يُحاوِلُ اللهُ أن يُعلِنَهُ لنا. وبما أنَّ هؤُلاء مُلتَزِمُونَ تماماً بحياتِهِم الخالِيَة منَ البِرّ، فإنَّهُم يرفُضُونَ الحقَّ الذي يُوضِحُ ما هُوَ الصَّوابُ أخلاقِيَّاً

عندما يُعلِنُ اللهُ لهُم البِرّ. بِحَسَبِ بُولُس، خليقَةَ اللهِ التي يستَطيعُ الإنسانُ أن يراها حواليَهِ ينبَغي أن تجعَلَهُ واعِياً لِوُجُودِ الخالِق، الذي ينبَغي أن يعبُدَهُ كاللهِ القَدير (رُومية ١: ١٨- ٢٣).

هذا ما يُسَمِّيهِ اللاهُوتِيُّون "الإعلان الطَّبيعيّ." وهُناكَ الكَثيرُ منَ الجَدَل بينَ اللاهُوتِيِّينَ حولَ مَوضُوع إمكانِيَّة تعلُّمِ الإنسان عنِ الله من دراسَتِهِ لخَليقَتِهِ، ما يَكفي لِخلاصِ هذا الإنسان. بُولُس لا يَدَّعي في هذا المقطع أنَّهُ بإمكانِ الإنسانِ أن يخلُصَ بِمُجَرَّدِ مُلاحَظَتِهِ للطبيعة. رُغمَ ذلكَ، فإنَّني أعتَقِدُ أنَّهُ يُعَلِّمُ أنَّ أوَّلَ خُطوَةٍ في الرِّحلَةِ الطَّويلة لِسُقُوطِ الإنسان، هي بِرَفضِ أو كَبت النُّور الذي يُحاوِلُ اللهُ أن يُعلِنَهُ لهذا الإنسان حيالَ حياةِ البِرّ.

إتِّهامٌ آخر من قِبَلِ اللهِ ضدَّ الإنسان، كانَ ولا يزالُ أنَّهُ عندما يُعلِنُ اللهُ نفسَهُ للإنسان، لا يُمَجِّدُهُ الإنسانُ ولا يُعطيهِ المكانَة التي يَستَحِقُّها اللهُ في حياتِهِ. هذا مكانٌ آخر في الكتابِ المُقدَّس نَجِدُ فيهِ مفهُوم "الله أوَّلاً." فإن كانَ اللهُ يعني أيَّ شَيءٍ بالنِّسبَةِ لنا، عندَها سيَكُونُ كُلَّ شَيءٍ بالنِّسبَةِ لنا، لأنَّهُ إلى أن يُصبِحَ اللهُ كُلَّ شَيءٍ بالنِّسبَةِ لنا، لن يَكُونَ شَيئاً على الإطلاق. إنَّ رفضَ الإنسان أن يضعَ اللهَ أوَّلاً، هُوَ خُطوَةٌ أُخرى بإتِّجاهِ السُّقُوطِ، بِحَسَبِ الرَّسُول بُولُس.

إتِّهامٌ آخَر منَ اللهِ ضدَّ الإنسان، كانَ ولا يزالُ أنَّ الإنسانَ هُوَ غير شَكُور. هذا تصويرٌ مُكَبَّرٌ لِخَطِيِّةِ نُكرانِ الجميل. ثُمَّ ذكَرَ بُولُس لائحَةً طويلَةً منَ الخطايا التي تُقدِّمُ لِدِراسَتِهِ عنِ سُقُوطِ الطبيعَةِ البَشريَّة، كما كانَ من زَمان وكما هي الحالُ الآن، في كُلِّ أنحاءِ هذا العالم. في تيمُوثاوُس الثَّانِية الإصحاح الثَّالِث، كتبَ بُولُس يَقُولُ لذلكَ الرَّاعِي الشَّاب أنَّ نُكرانَ الجميل هُوَ علامَةٌ تُشيرُ إلى كَونِنا نعيشُ في الأيامِ الأخيرة. (١- ٥).

وإذ تتَطَوَّرُ هذهِ العواقِبُ الأخلاقِيَّةُ في الإنسان، نقرَأُ: "وكما لم يَستَحسِنُوا أن يُبقُوا اللهَ في مَعرِفَتِهِم، أسلَمَهُم اللهُ إلى ذهنٍ مَرفُوضٍ، ليَفعَلُوا ما لا يَليق. مَملُوئينَ من كُلِّ إثمٍ وزِنىً وشَرٍّ وطَمَعٍ وخُبثٍ، مَشحُونِينَ حَسداً وقتلاً وخِصاماً ومَكراً وسُوءاً. نمَّامِينَ مُفتَرِينَ مُبغِضِينَ للهِ ثالِبِينَ مُتَعَظِّمِينَ مُدَّعِينَ مُبتَدِعِينَ شُرُوراً، غيرَ طائعِينَ الوالِدَين. بلا فَهمٍ ولا عَهدٍ ولا حُنُوٍّ ولا رِضَىً ولا رحمَة. الذين إذ عرَفُوا حُكمَ اللهِ أنَّ الذينَ يعمَلُونَ مثلَ هذه

يستَوجِبُونَ المَوت، لا يفعَلُونَها فقط بل أيضاً يُسَرُّونَ بالَّذِينَ يَعمَلُون." رِومية ١: ٢٨- ٣٢)

شَخصِيَّة الله

عندما يتكلَّمُ الكتابُ المُقدَّسُ عن غَضَبِ الله، لا يَصِفُ شُعُوراً نختَبِرُهُ كَكَائِناتٍ بَشَرِيَّة. فكلمة "غَضَب" بالعِبريَّة هي كلمَةٌ مُثِيرَةٌ للإهتِمام. وهي تعني، "عُبُور أو إجتِياز." تعني الكلمةُ أنَّ جَوهَرَ شَخصِيَّةِ اللهِ وطبيعَةِ الله هُوَ المحبَّة. ولكنَّ المحبَّةَ ليسَت الصِّفة الوحيدة لله. فشخصِيَّةُ اللهِ تحتَوي على تنوُّعٍ هائِلٍ منَ الصِّفاتِ. فإحدى صِفاتِهِ هي القَداسَة، أو ما يُمكِنُ وصفُهُ بالعدلِ الكامِل. وشَخصِيَّةُ اللهِ هي جوهَرُ تعريف ما هُوَ صَوابٌ أو عادِل. فإن كانَ اللهُ عادِلاً، فهذا يعني أنَّهُ ينبغي أن يعمَلَ شَيئاً حيالَ عدَمِ التَّقوى وعدَمِ البِرّ.

لو كُنتَ من هُوَاةِ كُرَةِ القَدَم، ماذا سَتَكُونُ رَدَّةُ فِعلِكَ إذا رأَيتَ الحَكَمَ يُسَجِّلُ مُخالَفَةَ جزاءٍ على أحدِ الفَريقَين لإرتِكابِهِ خطأً مُعَيَّناً، ثَمَّ عندَما يرتَكِبُ الفَريقُ الآخَرُ الخطأَ نفسَهُ، إذا بهذا الحَكم يكتَفِي بإبتِسامَةٍ دُونَ أن يُسجِّلَ مُخالَفَةَ جزاءٍ على الفَريقِ؟

تأمَّلْ باللهِ كحَكَمٍ مُطلَق، الذي عدلُهُ كامِلٌ ومُستَقيم. فكَونُهُ يتمتَّعُ بهذا العدل الكامِل والمُطلَق، لا يستَطيعُ أن يبتَسِمَ حيالَ فُجُورِ النَّاسِ وإثمِهِم. بل ينبَغي أن يتجاوَبَ دائماً معَ الخطيَّة بالعِقاب. هذا ما يَقُولُهُ بُولُس هُنا: "غَضَبُ اللهِ مُعلَنٌ على هذه الأُمُور."

هذا لا يعني أنَّ الله يُراقِبُ الفُجُورَ والإثم، ثُمَّ يَغضَبُ ويفقُدُ السَّيطَرَةَ على أعصابِهِ. بل يعني أنَّهُ إنسجاماً معَ طبيعَتِهِ البارَّة، المُقدَّسَة والعادِلَة، عندما تظهَرُ الحاجَةُ لغَضَبِ اللهِ بسبَبِ وُصُولِ فجُورِ النَّاسِ وإثمِهِم إلى مُستَوىً معُيَّن، فهُوَ "يجتازُ منَ المحبَّةِ إلى الغَضَب."

وسُرعانَ ما يجتازُ منَ المحبِّةِ إلى الغَضَب، حتَّى يُبيدَ تماماً الفَاجرينَ والأثمَة، كما حدَثَ في الطُّوفان، وكذلكَ في ما يَصِفُهُ النَّبِيُّ يُوئيل والرَّسُول بُطرُس كيَومِ الربِّ الرَّهيب والفظيع (يُوئيل ٢: ١١، ٣١؛ ٢ بُطرُس ٣: ١٠). ثُمَّ يُمكِنُ تعريفُ غَضَبِ اللهِ بأنَّهُ "ردَّة الفعل المُبيدة من العدلِ الكامِل

تجاهَ الظُّلمِ والخَطيَّة." تعريفٌ آخر يُمكِنُ أن يَكُون "ردَّةُ الفِعلِ المُبيدة من المحبَّةِ الكامِلة ضِدَّ كُلُّ ما يُهدِّدُ مَوضُوعَ هذه المحبَّة."

محبَّةُ والِدٍ أرضِيّ يُمكِنُ أن تتحوَّلَ إلى غَضَب. حدَثَ مرَّةً أنَّ إبنَةَ سَبعِ سنواتٍ قدِ إغتُصِبَت وقُتِلَت. وعندما كانَ والِدُ هذه الفتاةِ الصَّغيرة والبَريئة، الذي إتَّصَفَ باللُّطفِ والمحبَّةِ، فإذ كانَ هذا الوالِدُ حاضِراً في مركَزِ الشُّرطة عندما أُحضِرَ المُجرِمُ الذي قامَ بهذه الفعلة الشنيعة، تطلَّبَ الأمرُ كُلَّ أعضاءِ مركَزِ الشُّرطَة ليُوقِفُوا والِدَ هذه الطفلة الضَّحيَّة عن الهُجُومِ على المُجرِم والقَضاء عليهِ لكَونِهِ قد دمَّرَ موضُوعَ حُبِّهِ.

رُغمَ أنَّ هذا يُساعِدُنا على فَهمِ غَضَبِ الله، ولكنَّهُ ليسَ صُورَةً مجازِيَّةً دقيقَةً بشَكلٍ كافٍ للتعبيرِ عن شَخصِيَّةِ الله. وكما أشَرتُ سابِقاً، اللهُ لا يفقدُ السَّيطَرَةَ على أعصابِهِ عندما يجتازُ منَ المحبَّةِ إلى الغَضَب.

في الإصحاحِ الثَّانِي من هذه الرِّسالَة، كتبَ بُولُس عن غَضَبِ اللهِ المُستَقبَلِي الذي سيُعبَّرُ عنهُ في الدَّينُونَة. في الإصحاحِ الثَّالِث عشَر يَصِفُ غَضَبَ اللهِ الحاضِر الذي يُعَبَّرُ عنهُ من خلالِ ضابِطِ الأمن والسَّلام ضِدَّ أُولئكَ الذين ينتَهِكُونَ قوانِينَ الله. ولقد وصفَ بُولُس ثلاثَ مرَّاتٍ ضابِطَ الأمنِ والسَّلامِ هذا، الذي يُعَبِّرُ عن غَضَبِ اللهِ على من يكسِرُ القانُون، وصفَهُ بُولُس ثلاثاً بكَونِهِ "خادم الله."

خلالَ الأربَعينات، إجتَمَعَتْ عدَّةُ أُمَمٍ معاً للقَضاءِ على أدُولف هتلر والحزب النَّازِيّ، الذي أخذَ على عاتِقِهِ إبادَةُ اليَهُودِ عن وجهِ الأرض. لو لم يَتِمّ القَضاءُ على هتلر، لقَضى على كُلِّ اليَهُودِ وأبادَهُم. خلالَ ذلكَ العَقد الخامِس منَ القَرنِ العشرين، كانَ الكَثيرُونَ منَ المُؤمنينَ الذي شارَكُوا في الحَربِ العالَميَّةِ الثَّانية يعتَقِدُونَ أنَّهُم يُشَكِّلُونَ تعبيراً عن غَضَبِ اللهِ على سُلطَةِ الشَّرّ التي كانت تُشرِفُ على إبادَةِ عشرَة ملايين إنسان بَريء في مُخَيَّماتِ التَّعذيب النَّازِيَّة. وكانت القناعَةُ الكِتابِيَّةُ الكامِنة خلفَ المُشارَكِة في الحربِ العالميَّةِ الثَّانِيَة هي أنَّها كانت حرب عادِلَة، يخُوضُها ضابِطُ سلامٍ وأمنٍ جماعِيّ، مُعَبِّراً عن غَضَبِ اللهِ ضِدَّ سُلطَةٍ شِرِّيرَة كانت تُهَدِّدُ ليسَ اليَهُودِ فقط، بل الملايين غيرَهُم منَ الشُّعُوب الذي إعتَبَرَهُم النَّازِيُّونَ أدنَى مرتَبَةً منهُم.

الفصلُ الرَّابِع
"دَينُونَةُ اللهِ"
(رُومية ٢: ١- ٢٩)

عندَما وصَلَ بُولُس في النِّهايَةِ إلى رُوما خلالَ رحلاتِهِ الإرساليَّة، بعدَ رحلَةٍ بحريَّةٍ محفُوفَةٍ بالمخاطِر، كانَ سَجيناً، ولكن أحسنَ سُجَّانُهُ الرُّومانُ مُعامَلَتَهُ. فلقد سُمِحَ لهُ بأن يستَقبِلَ زُوَّاراً، وكانَ أوَّلُ الزُّوار الذين طلبَ مُقابَلَتَهُم هُم القادَة الدِّينيُّون اليَهُود في مَدينَةِ رُوما. ولقد تجادَلَ معَهُم منَ الكُتُبِ المُقدَّسَة عن أُمُورٍ مُختَصَّةٍ بيَسُوع، وبملكُوتِ الله (أعمال ٢٨: ١٧- ٣١).

عندما كتبَ بُولُس الإصحاح الثَّانِي من هذه الرِّسالَة إلى أهلِ رُومية، وكأنَّهُ كانَ يُخاطِبُ اليهُودَ الذين زارُوهُ عند أوَّلِ وُصُولِهِ إلى مدينَةِ رُومية. سأُقدِّمُ في هذا الكُتَيب مُوجَزاً مُلَخَّصاً عن هذا الوصف لدَينُونَةِ اللهِ العَتيدة التي قدَّمَها بُولُس في هذا الإصحاح.

في الإصحاحِ الأوَّل وصفَ بُولُس دَينُونَةَ اللهِ الحاضِرَة، التي تأتي في شَكلِ تعبيرٍ راهِنٍ عن غَضَبِ الله تجاهَ طبيعَةِ الإنسان وأعمالِهِ الفاجِرَة والآثِمَة. في هذا الإصحاحِ الثَّانِي، يتنبَّأُ بُولُس بدَينُونَةِ اللهِ المُستَقبَلِيَّة، التي ستُعلِنُ تعبيراً مُستَقبَلِيّاً عن غَضَبِ اللهِ على طبيعَةِ الإنسان الفاجِرَة والآثِمَة.

إنَّ تجاوُبَ اللهِ معَ شَخصِيَّةِ الإنسان الآثمة ينبَغي أن يَقُودَ دائماً في النِّهايَةِ إلى الدَّينُونَة. هكذا كانت الحالُ دائماً. لاحِظُوا في كلمَةِ الله كيفَ يحكُمُ اللهُ في النَّهايَةِ على طبيعَةِ الإنسان الخاطِئة. نقرَأُ في سِفرِ التَّكوين عن دَينُونَةِ اللهِ على سَدُوم وعمُورة، وعن طُوفان نُوح الرَّهيب (تكوين ١٩: ٢٤-٢٩؛ ٦- ٩).

أعلَنَ كاتِبُ الرِّسالَة إلى العِبرانِيِّين قائِلاً: "وكما وُضِعَ للنَّاسِ أن يَمُوتُوا مرَّةً، ومن ثَمَّ بعدَ ذلكَ الدَّينُونة..." (عبرانِيِّين ٩: ٢٧) في هذا الإصحاحِ الثَّانِي يُعطِينا بُولُس مُلَخَّصاً واقِعيّاً عن ذلكَ المَوعِدِ معَ المَوتِ والدَّينُونَة، الذي سيُواجِهُهُ كُلٌّ منَّا أمامَ الله. يُوافِقُ بُولُس معَ كاتِبِ الرِّسالَةِ إلى العِبرانِيِّين، بأنَّهُ ستَكُونُ هُناكَ دينُونَةٌ منَ اللهِ في المُستَقبَل بعدَ المَوت.

يُعلِّمُ الكِتابُ المُقدَّسُ بإستِمرار أنَّ دينُونَةً مُستَقبَلِيَّةً ينبَغي أن تأخُذَ مجراها. ولقد وجدَ سُليمانُ الحكيمُ طريقَهُ للإستِنتاجِ أنَّ الطريقة الوحيدة

التي بها بإمكانِنا أن نجِدَ حَلاً للحَقيقَةِ الصَّعبَة المُتَعلِّقَة بالمظالِم التي نراها في حياتِنا، هي بأن نَصِلَ إلى الخُلاصَةِ التَّاليَة: "ينبَغي أن تَكُونَ هُناكَ دينُونَة." (جامِعَة ٣: ١٦- ١٧؛ ١٢: ١٣- ١٤) بِحَسَبِ بُولُس وكُتَّاب آخرينَ للعَهدين القَديم والجديد، الدينُونَةُ العتيدة هي واقِعَة حتمِيَّةٌ مُطلَقَةٌ.

كتبَ بُولُس أنَّ دينُونَةَ اللهِ هذه ستَكُونُ بِحَسَبِ الحَقّ (رُومية ٢: ٢) في هذا الإصحاح، تَذَكَّرُوا أنَّ بُولُس يُخاطِبُ اليَهُودَ أوَّلاً، ثُمَّ اليُونانيِّينَ أو الأُمَم، وتطبيقيَّاً، يُخاطِبُنا نحنُ بالطَّبع. فنحنُ جميعاً لدينا مَيلٌ لإدانَةِ الآخرينَ، خاصَّةً المُؤمنينَ الآخرين. ولكنَّ بُولُس يختَصِرُ الطَّريقَ عبرَ هذا النَّمُوذج منَ الدينُونَةِ الأُفُقِيَّة ويُصَرِّحُ بِوُضُوحٍ أنَّ دينُونَةَ اللهِ الآتية ستَكُونُ مَبنِيَّةً على حقيقَةِ ما يعرِفُهُ اللهُ عن كُلٍّ واحِدٍ مِنَّا. بينَما يُوضِحُ هذه النُّقطَة، يُضيفُ أنَّ دينُونَةَ اللهِ لا مَفَرَّ منها لِكُلِّ كائِنٍ بَشَرِيّ (٣).

ثُمَّ يُعَلِّمُ أنَّ دينُونَةَ اللهِ ستَكُونُ تراكُمِيَّةً. فبِحَسَبِ بُولُس، نحنُ نخزُنُ لأنفُسِنا دينُوناتٍ منَ اللهِ على خطايانا، التي سنُواجِهُها وسنُعطِي عنها حِساباً يومَ الدينونَة. في هذا الإطار، يُعلِّمُ بُولُس أنَّ اللهَ يتحمَّلُ خطايانا الكَثيرَة لأنَّهُ طويلُ الأناة، وخُطَّتُهُ هي أن يَقُودَنا لُطفُهُ وإمهالُهُ إلى التَّوبَة (٤، ٥).

يُعَلِّمُ بُطرُس هذه الحقيقَةَ نفسَها في رِسالَتِهِ الثَّانِيَة، مُضيفاً فكرَةَ أنَّ اللهَ لا يُريدُ أن يهلِكَ أُناسٌ بل أن يُقبِلَ الجميعُ إلى التَّوبَةِ والخلاص (٢بُطرُس ٣: ٩). يتَّفِقُ هذانِ القائِدانِ في كنيسَةِ العهدِ الجديد أنَّ دَينُونَةَ اللهِ هي بِحَسَبِ الحَقّ، وهي تراكُمِيَّة ولا مَفَرَّ مِنها.

ثُمَّ كتبَ بُولس أنَّ دينُونَةَ اللهِ ستَكُونُ دينُونَةً عادِلَةً بارَّة (٥). فعندما سنُدانُ، لن تَكُونَ القَضِيَّةُ ما إعتَرَفنا أنَّنا نُؤمِنُ بِهِ، بل كيفَ عِشنا حياتَنا. دينُونَةُ اللهِ ستَكُونُ بِحَسَبِ ما عَمِلنا وما لن نعمَلْ لأجلِ المسيحِ والله (٦). وهُوَ يُعَلِّمُ هذه الحقيقَة نفسَها عنِ الدَّينُونَة في رسائِلِهِ للكُورنثِيِّين (٢كُورنثُوس ٥: ١٠).

في هذا الإطار، يُوافِقُ بُولُس معَ رَبِّهِ ومُخَلِّصِهِ أنَّ التَّطبيقَ هُوَ أكثَرُ أهمِّيَّةً جداً منَ الإعتِرافِ الشَّفَوِيّ. لقد أعلَنَ يسُوعُ بإستِمرار أنَّ ما لديهِ قيمَةٌ كُبرى بِنظَرِ اللهِ هُوَ الطريقة التي نتصرَّفُ بها، أكثر من الطريقة التي نعتَرِفُ بها بإيمانِنا. (متَّى ٧: ٢٤- ٢٧؛ لُوقا ٦: ٤٦) عندما طهَّرَ يسُوعُ الهَيكَلَ بِشَكلٍ دراماتِيكيّ، تجاوَبَ معَ طَلَبِ رجالِ الدِّينِ الذين طَلَبُوا أن

يَروا أوراقَ إعتِمادِهِ، تجاوَبَ بِمَثَلٍ أظهَرَ سُلطَتَهُ على هكذا عمَلٍ قاسٍ: "كانَ لإنسانٍ إبنان، فجاءَ إلى الأوَّلِ وقالَ يا إبني إذهَبِ اليَومَ إعمَلْ في كَرمِي. فأجابَ وقالَ ما أُريدُ. ولكنَّهُ نَدِمَ أخيراً ومَضَى. وجاءَ إلى الثَّانِي وقالَ كذلكَ. فأجابَ وقالَ ها أنا يا سَيِّد. ولم يمضِ. فأيُّ الإثنَينِ عمِلَ إرادَةَ الآب؟ قالُوا لهُ الأوَّل. قالَ لهُم يسُوعُ الحقَّ أقُولُ لكُم إنَّ العَشَّارِينَ والزَّوانِي يسبِقُونَكُم إلى مَلَكُوتِ الله." (متَّى ٢١: ٢٨- ٣١).

الحقيقَةُ الصَّعبَة التي يُعَلِّمُها هذا المَثَل هي أنَّ كُلاً من هَذَينِ الإبنَين إعتَرَفَ بِشَيءٍ، وكانَ عمَلُهُ مُناقِضاً لإعتِرافِهِ. لهذا لم يَكُنْ لإعتِرافِهما إلا المعنى الزَّهيد. أداؤُهما هُوَ الذي كانَ يَهُمُّ. كانَ يَسُوعُ يُعَلِّمُ بأنَّ سُلطَانَهُ الوحيد، منَ النَّاحِيَة البَشَريَّة، ينبَعُ منَ عجائِبِهِ، أو من أعمالِهِ. ولقد كانَ يُعَلِّمُ أيضاً أنَّ عملَهُ أو أداءَهُ صَرَّحَ أنَّهُ كانَ في كَرْمِ الآبِ، وأنَّ أداءَ أو عملَ أُولئكَ الذين كانَ يُكَلِّمُهُم لم يَكُن في كَرْمِ الآب، رُغمَ إعترافِهِم بكَونِهِ فيهِ.

رُغمَ أنَّ الرِّسالَةَ المَركَزِيَّة في هذه الرِّسالة إلى أهلِ رُومية هي أنَّنا لا نتبَرَّرُ بأعمالِنا الصَّالِحَة، بل بعمَلِ المسيحِ المُتَمَّم على الصَّليبِ لأجلِنا، في هذه الإصحاح يبدُو وكأنَّ رأي بُولُس يختَلِفُ عن قولِ يسُوع ويعقُوب: أنَّ الأعمالَ الصَّالِحَةَ تُصادِقُ على صِحَّةِ الإيمان الذي بهِ يُعلِنُنا اللهُ أبراراً (يعقُوب ٢: ٢١- ٢٤).

إنسِجاماً معَ هذا التَّعليم، يكتُبُ بُولُس قائِلاً أنَّ دينُونَةَ اللهِ سَتَكُونُ بلا مُحاباة (رُومية ٢: ١١). آمنَ اليَهُودُ الذين كانَ بُولُس يُخاطِبُهُم في هذا الإصحاح أنَّه لم تَكُنْ لهُم حاجَةٌ للخلاص، لأنَّهُم وُلِدُوا يَهُوداً. وها هُوَ الآن يُضيفُ ويُعَلِّقُ على التَّعليمِ أعلاه، أنَّنا سنُدانُ بِحَسَبِ أعمالِنا وليسَ بِحَسَبِ إعتِرافنا الإيمانِيّ، وذلكَ بتصريحِهِ بإسهابٍ أنَّ كَونَ الإنسان يَهُودِيَّاً بالإنتِماءِ والإعتِرافِ الشَّفَوِيّ لا يكفي عندما سيلتَقي اللهَ كدَيَّان.

بالتطبيقِ الشَّخصِيّ، هذا التَّعليم ينبَغي أن تَكُونَ لهُ علاقَةٌ بأُولئكَ الذين يُؤمِنُونَ أنَّهُم مُخَلَّصُونَ، لأنَّهُم وُلِدُوا في عائِلةٍ مسيحيَّة، وبأنَّ لدَيهم والِدين أتقِياء وأنَّهُم إعتَمَدُوا وهُم لا يزالُونَ بعدُ أطفالاً. هذا لهُ علاقَةٌ بالأشخاصِ الطَّيِّبين، الذين يعيشُونَ حياةً مُهَذَّبَةً، ولدَيهِم منَ الصِّدقِ والإستِقامَةِ أكثَر مِمَّا لدى الكثير من تلاميذ يسُوع المسيح. إذا صادَفَ

وكُنتَ أنتَ من هذا الصِّنف منَ النَّاس، بينما يُخاطِبُ بُولُس اليَهُود، لاحِظْ أنَّهُ يُخاطِبُكَ أنتَ كذلك، إن كُنتَ تَضَعُ ثِقَتَكَ بتُراثِكَ الدِّينيّ وبإستِقامَتِكَ الأخلاقِيَّة أساساً لخلاصِكَ.

يتبَعُ هذا تعليمٌ عَظيمٌ يتحدَّى بُولُس من خلالِهِ أُولئكَ الذين كانُوا يَهُوداً بالولادَةِ، لِكَي يَكُونُوا بالعَمَلِ والأداء كُلَّ ما يُصَرِّحُ اليَهُودِيُّ أن يَكُونَهُ بالإعتِرافِ الإيمانِي. لقد كانَ اليَهُودُ فَخُورينَ بمُعجِزَةِ كونِ اللهِ قد أعطاهُمُ نامُوسَهُ، وبأنَّهُم كانُوا شعبَهُ المُختار ليُعَلِّمُوا نامُوسَهُ للآخرين. وكانُوا يعتَبِرُونَ الأُمَمَ "كلاباً" لأنَّهُم بالمُقارَنَة معَ اليَهُود، كانَ الأُمَميُّ مُنحَطَّاً رُوحيَّاً بِسُلُوكِهِ ولا يرتَقي عن مُستَوى الكَلب في هذا المجال. ولقد إعتَبَروا أنَّ الذين لم يَعرِفوا نامُوسَ اللهِ، بأنَّهُم "أطفال"، بينَما كانُوا يعتَبِرُونَ أنفُسَهُم "آباءَ" رُوحيَّاً. وكانَ الناسُ الآخرونَ يعيشُونَ في الظُّلمَةِ، بينما كانُوا هُم القادَةَ الرُّوحِيِّين للعُميان.

ولكن بُولُس تحدَّاهُم بِلا هَوادَة، بأن يُمارِسُوا ما يعتَرِفُونَ بهِ. وكَونُهُم مُعَلِّمينَ للنَّامُوس، هل يُطيعُونَ بأنفُسِهِم هذا النَّامُوس؟ يذكُرُ بُولُس لهُم بعضاً منَ الوصايا العَشر. فبينما يُعَلِّمُونَ الآخرينَ أن لا يَسرِقُوا، هل يسرُقُونَ هُم أنفُسُهم؟ ولقد سألَهُم بالتَّحديد إن كانُوا يسرِقُونَ الهَياكِل؟

وبما أنَّهُم كانُوا شَديدِي التَّعصُّب ضِدَّ عبادَةِ الأوثانِ بعدَ السَّبي، لم يَشعُرُوا بأيِّ ذَنبٍ خلالَ مُمارَسَتِهِم لِسَرِقَةِ التَّماثيل منَ الهَياكِل الوَثَنِيَّة. وبما أنَّ هذه الأصنام كانت مصنُوعَةً منَ الذَّهَبِ والفِضَّةِ والحِجارَةِ الكريمة، غالِباً ما كانُوا يبيعُونَها بمبالِغَ طائِلَة منَ المال. لقد دافَعُوا عن تصرُّفاتِهِم هذه بإدِّعائِهِم أنَّ اللهَ يكرَهُ الأوثانَ وهذا لم يُعتَبَر سَرِقَة.

إنَّ قُدرَةَ الكائنِ البَشَريّ – خاصَّة المُتَدَيِّن – على تبريرِ سُلُوكِهِ الخاطِئ، لا حُدُودَ لها. يختُمُ بُولُس هذه الإدانَة أو الحُكم على اليَهُود، بالتَّصريحِ أنَّ إسمَ اللهِ يُجدَّفُ عليهِ بينَ الأُمَم بِسَبَبِ طريقَةِ تصرُّفِ اليَهُود التي كانَت تُشَوِّهُ إعترافَهُم الإيمانِيّ. لنُطَبِّقَ هذا على حَياتنا، إذا وضَعَنا ثِقَتنا بتُراثِنا الدِّينِيّ، الذي قد يكُونُ إعترافَ أهلِنا الإيمانِيّ، علينا أن نسأَلَ أنفُسَنا: هل أداؤُنا أو عملُنا هُو تشويهٌ أو إنحرافٌ لإعترافِنا الإيمانِيّ؟

علَّمَ بُولُس أنَّ دَينُونَةَ اللهِ ستَكُونُ بِحَسَبِ النَّامُوس على أُولئكَ الذي أخذُوا نامُوسَ الله (رُومية ٢: ١٢- ١٥). ولقد وافَقَ معَ الأنبياء أمثال

عامُوس، الذي علَّمَ أنَّ الإمتيازاتِ الرُّوحيَّة العُظمى تعني مسؤوليَّةً رُوحيَّةً أعظم، ومُحاسَبةً رُوحيَّةً أكثر دِقَّةً أمامَ الله (عامُوس ٥: ٢١- ٢٧). كَونَهُم يَهُود، كانُوا فَخُورينَ بمُعجِزَةِ كَونِهِم نالُوا نامُوسَ الله. ولقد أوضَحَ بُولُس نقطَتَهُ بإطنابٍ أنَّ دَينُونَةَ اللهِ ستَكُونُ بِحَسَبِ نامُوسِ اللهِ لأُولئكَ الذين أُعطُوا نامُوسَ الله.

ويُضيفُ بُولُس الملاحَظَةَ أنَّ دَينُونَةَ اللهِ ستَكُونُ بيسُوع المسيح. يتَّفِقُ هذا القولُ معَ تصريحِ يسُوع بأنَّ الآبَ أعطَى مسؤوليَّةَ الدَّينُونَةِ لإبنِهِ (يُوحَنَّا ٥: ٢٢). بينما يُحاوِلُ البَعضُ أن يُخالِفُوا بُولُس رأيَهُ مُقَلِّلينَ من أهمِّيَّتِهِ، مُدَّعِينَ أنَّهُ يخالِفُ تعاليمَ يسُوع، الحقيقَةُ هي أنَّ بُولُس يُوازِي بإستِمرار تعليمَهُ معَ تعليمِ يسُوع، مُؤكِداً على مِصداقِيَّةِ الأخيرِ. تُوجَدُ أوقاتٌ يُزَوِّدُ فيها تعليمَ رَبِّهِ، خلالَ نَوالِهِ الإعلان، مثلَ ذلكَ التَّعليم عنِ الزَّواج وعمَّا نُسَمِّيهِ إختطاف الكنيسة، الذي سيَكُونُ جُزءاً منَ رُجُوعِ يسُوع (١كُورنثُوس ٧؛ ١تسالُونيكي ٤: ١٣- ١٨).

ولكن عندما يُعالِجُ بُولُس مَوضُوعاً علَّمَ عنهُ يسُوع، يتوازَى تعليمُهُ دائماً وينسَجِمُ معَ تعليمِ يسُوع. أفضَلُ مِثالٍ على ذلكَ هُوَ الإصحاح الذي وجَّهَهُ للكُورنثِيِّين، جواباً على أسئِلَتِهِ حيالَ الزَّواج (١كُورنثُوس ٧).

ثُمَّ يكتُبُ عن اليَهُودِيِّ في الدَّاخل واليَهُوديّ في الخارِج. بما أنَّ الخِتانَ كانَ العلامَةَ الخارِجيَّة لحقيقَةٍ داخِلِيَّة لكَونِ الإنسان يهُودِيَّاً، عالَجَ بُولُس مُشكِلَةَ كَونِ الكثير منَ اليَهُود كانُوا يُمارِسُونَ طقسَ الخِتان، بِدُونِ الحقيقَةِ الدَّاخِلِيَّةِ الكامِنَةِ وراءَ مُمارَسَةِ الختان. عندها ينصَحُ بما أسماهُ "خِتان القَلب."

لقد كانَ الخِتانُ بالحقيقَةِ إعتِرافَ تقديس، أو كون الإنسان مُنفَصِلاً عنِ الشَّر ومفرُوزاً للهِ ولعيشِ حياةِ القداسَة. عندما حَضَّ بُولُس هؤُلاء اليَهُود على ختانِ قُلُوبِهِم، كانَ يَحُضُّهُم على أن ينفَرِزُوا لأجلِ اللهِ ولأجلِ حياةِ قداسَةٍ في قُلُوبِهِم، حيثُ تُوجَدُ إرادَاتُهُم، قراراتُهُم، ودوافِعُهم التي تَقُودُهم لإتِّخاذِ القَرارات.

ثُمَّ يأتي بهذا المعنى من تعليمِهِ عنِ الدَّينُونَة إلى نهايَتِهِ، وذلكَ بالتَّركيز على ما يعنيهِ أن يُفَعِّلَ الإنسانُ إعترافَهُ بكونِهِ يَهُودِيَّاً، بمُمَارَسَةٍ حقيقيَّةٍ تُبَرهِنُ أمامَ اللهِ والإنسان ما يعنيهِ حقَّاً كون الإنسان يَهُودِيَّاً.

في هذا الإطار، يُعَبِّرُ بُولُس عن مبدَأٍ لا بُدَّ أنَّهُ تعلَّمَهُ من المسيحِ المُقام. لا شَكَّ أنَّهُ لم يتعلَّمْ هذا المبدأ كفَرِّيسيٍّ منَ الفَرِّيسيِّين. ولقد عبَّرَ أيضاً عن هذا المبدأ في رسالَتِهِ الثَّانِيَة إلى أهلِ كُورنثُوس، والتي فيها دعا هذا المبدأ "رُوحَ النَّامُوس" مُقارَنَةً معَ "حرفِ النَّامُوس." (٢كُورنثُوس ٣: ٦) يُمكِنُنا القَول أنَّهُ في هذا الإصحاح، يَصِفُ بُولُس رُوحَ ما يعني كون الإنسان يَهُودِيَّاً حقيقيَّاً، أي في الدَّاخِل والقَلب، لا في الخارِجِ والمَظهَر.

يُوجَدُ تطبيقٌ شَخصِيٌّ مُحَدَّدٌ للمُؤمنينَ الذين في رُومية، والذين لم يَكُونُوا يَهُوداً، ولي ولكَ في هذه الأيَّام. المعمُوديَّةُ هي الإعتِراف الخارِجيّ بحقيقَةٍ داخِلِيَّة أنَّنا نُؤمِنُ بالإنجيل، وأنَّنا مُتَّحِدينَ معَ يسُوع المسيح في مَوتِهِ وقيامَتِهِ. فالمعمُوديَّةُ كما يُوصِي بها يسُوعُ في مأمُوريَّتِهِ العُظمَى، هي إعترافٌ علَنِيٌّ بقرارٍ داخِلِيٍّ شَخصِيّ.

عندما يُقَرِّرُ شابٌّ وشابَّةٌ بينَهُما في السِّرِّ أن يتزوَّجا، يَكُونُ إحتِفالُ زواجِهِما تصريحاً علَنِيَّاً بذلكَ القَرارِ السِّرِّيّ الذي سبقا واتَّخذاهُ. عندما نُؤمِنُ بيسُوع المسيح مُخَلِّصاً ونُقَرِّرُ أن نُسَلِّمَهُ قَلبَنا ونقبَلَهُ رَبَّاً على حياتِنا، يكونُ هذا قراراً داخِلِيَّاً. ولكنَّ معمُودِيَّتنا تأتي لتَكُونَ التَّصريحَ العَلَنِيّ لذلكَ القَرار الشَّخصِيّ الدَّاخِلِيّ. ولكن تماماً كما مارسَ أُولئكَ اليَهُودُ طقسَ الخِتان، بِدُونِ الحقيقَةِ التي كانَ يُشيرُ إليها رَمزُ الإعترافِ ذاك، هكذا أيضاً يُمكِنُ أن نُمارِسَ فريضَةَ المعمُوديَّةِ اليَوم، بِدُونِ الحقيقة الدَّاخِلِيَّة التي تُشيرُ إليها.

يُشَدِّدُ بُولُس على الحقيقَةِ القاسِيَة أنَّ دَينُونَةَ اللهِ سوفَ تُطالِبُنا بحقيقَةِ القَلب الدَّاخِلِيَّة عمَّا إعتَرَفنا بهِ خارِجيَّاً وعَلَنِيَّاً. وهُوَ يبدَأُ موضُوعَ كونِ الإنسان يَهُودِيَّاً حقيقيَّاً، بالتَّعليمِ أنَّ دينُونَةَ اللهِ ستُعالِجُ أسرارَ (أو دوافِعَ) قُلوبِ الذين يَقِفُونَ أمامَ اللهِ للدَّينُونَة (رُومية ٢: ١٦). كتبَ هذا الرَّسُولُ للكُورنثِيِّين يَقولُ أنَّهُ فقط عندما يكشِفُ اللهُ الدَّوافِعَ السِّرِيَّة الكامِنَة وراءَ أعمالِنا، فقط عندَها سنَنالُ مَدْحاً أو دينُونَةً (١كورنثُوس ٤: ٣- ٥).

يتَّفِقُ داوُد وإرميا على إخبارِنا وحَضِّنا تجاهَ تفحُّص دوافِع قُلُوبِنا. يُعلِنُ إرميا أنَّ قُلُوبَنا هي شِرِّيرَة ومُخادِعَة. فهُوَ يَقُولُ، "القَلبُ أخدَعُ من كُلِّ شَيءٍ وهُوَ نَجيسٌ.." ثُمَّ يُضِيفُ مُتسائِلاً، "من يعرِفهُ؟" أي من يعرِف

دوافِعَهُ السِّرِّيَّة؟ ويُجيبُ على هذا السُّؤال بإخبارِنا أنَّ اللهَ وحدَهُ كاشِف القُلُوب. (إرميا ١٧: ٩، ١٠).

ثُمَّ يُرينا داوُد تمييزاً وحِكمَةً فوقَ العادَةِ عندَما يطلُبُ منَ اللهِ أن يرِيَهُ الأفكار التي لا ينبَغي أن تَكُونَ في ذهنِهِ، والدَّوافِع التي لا ينبَغي أن تَكُونَ في قَلبِهِ، لكَي يتسنَّى لهُ أن يتُوبَ عنها ويترُكَها، لأنَّهُ يُريدُ أن يمشِيَ في الطَّريقِ الأبديَّة (مَزمُور ١٣٩: ٢٣، ٢٤).

في هذا الإصحاح، يكتُبُ بُولُس عن دَّينُونَةِ اللهِ المُستَقبَلِيَّة التي سوفَ نُواجِهُها عندما ستُعلَنُ أسرارُ ودوافِعُ قُلُوبِنا، بينما نُواجِهُ دَينُونَةَ الله. التَّطبيقُ الشَّخصِيُّ لهذه النَّاحِيَة منَ الدَّينُونَة العتيدة، هُوَ أنَّهُ علينا أن نتعلَّمَ من بُولُس، من إرميا، ومن داوُد أن نتفحَّصَ دوافِعَ قُلُوبِنا الآن، لا أن ننتَظِرَ حتَّى تُكشَفَ لنا في الدَّينُونَة. وكما فعلَ داوُد، علينا أن نعتَرِفَ، نتُوبَ ونرجِعَ عن هذه الأفكار والدَّوافِع التي لا ينبَغي أن تَكُونَ في قُلُوبِنا، لأنَّنا نُريدُ أن نسلُكَ في الطَّريقِ الأبديّ.

التَّطبيقاتُ العمليَّةُ التَّعبُّدِيَّةُ في هذا الإصحاح ترتَبِطُ أيضاً بمَوضُوعِ الإعتِرافِ الشَّفهِي والأداءِ العمليّ. وإذ نتأمَّلُ بحقيقَةِ كونِنا سنَمُوتُ وبعدَ ذلكَ سنُدان، هل نَضَعُ ثِقَتَنا بكَونِنا أعضاءَ كنيسَةٍ أو طائِفةٍ مُعَيَّنَة؟ وهل نضَعُ ثِقتَنا أو إيمانَنا بإستِقامَتِنا الأخلاقِيَّة، أو بأعمالِ برِّنا الذَّاتِيّ؟ الملايينُ يُؤمِنُونَ أنَّهُ إن كانَ هُناكَ دَينُونَة، فسوفَ يَكُونُونَ بأمانٍ، لأنَّهُم كانُوا صالِحِينَ ولم يُؤذُوا أحداً في حَياتِهِم. هل أنتَ واحِدٌ من هؤُلاء النَّاس؟ وهل نحنُ نعمَلُ الشَّيءَ ذاتَهُ الذي عمِلَهُ اليَهُودُ الذين وجَّهَ لهُم بُولُس هذا الإصحاحِ الثَّانِي؟

لقد أخبَرَنا بُولُس في هذا الإصحاح ما لا ينبَغي علينا أن نضَعَ ثِقَتَنا بهِ لأجلِ خلاصِنا. وإذ يُتابِعُ بتقديمِ هذه التُّحفة اللاهُوتيَّة، علينا أن نتعلَّمَ بالتَّحديد ما ينبَغي علينا أن نضَعَ ثِقَتَنا وإيمانَنا بهِ لأجلِ خلاصِنا، إذ نقتَرِبُ تدريجيَّاً منَ المَوتِ والدَّينُونَةِ الحَتمِيَّة.

الفَصلُ الخامِس

"مُبَرَّرُونَ بالإيمان"

بعدَ أن خاطَبَ بُولُس اليَهُودَ وتحدَّاهُم في الإصحاحِ الثَّانِي من رِسالَتِهِ إلى أهلِ رُومية، بدأَ في الإصحاحِ الثَّالِث بطَرحِ السُّؤالِ ما إذا كانَت تُوجَدُ أيَّةُ حسناتٍ من كَونِ المرءِ يَهُودِيَّاً؟ ثُمَّ أجابَ على سُؤالِهِ الذَّاتِيّ بإبرازِ حسناتِ كَونِ الإنسان يَهُودِيَّاً. أوَّلُ حَسَنَةٍ يُقَدِّمُها بُولُس هي أنَّ اللهَ أعطَى النَّامُوس، أو كَلِمَتَهُ لليَهُود.

كُلُّ النَّاسِ تحتَ النَّامُوس

بِحَسَبِ بُولُس الرَّسُول، رُغمَ أنَّ اليَهُودَ لم يُطِيعُوا كَلِمَةَ اللهِ، فإنَّ عدمَ طاعَتِهِم تُبَرهِنُ بِبَساطَةٍ الحقيقَةَ التي يُعلِنُها نامُوسُ الله – أنَّنا جميعاً خُطاة. وهُوَ يُعبِّرُ عن هذه الحقيقَةَ بقَولِه: "ليَكُنِ اللهُ صادِقاً وكُلُّ إنسانٍ كاذِباً." (رُومية ٣: ٤) وكما أشارَ في الإصحاحِ الثَّانِي، يُظهِرُ ضَميرُ الأُمَمِيِّ أنَّ اللهَ وضعَ نامُوسَهُ حتَّى في قُلُوبِ غَيرِ اليَهُود. (٢: ١٥). ثُمَّ يُتابِعُ بالقَولِ أنَّ الجميع، يَهُوداً أو أُمَمِيِّين، هُم تحتَ نامُوسِ الله.

إحدَى مُهِمَّات نامُوسِ اللهِ هي الكَشف عنِ الحقيقَةِ الصَّعبَة أنَّنا جميعاً خُطاة. يستخدِمُ يعقُوبُ الصُّورَةَ المجازِيَّةَ البليغة التي تَقُولُ أنَّ كَلِمَةَ اللهِ هي مثل مرآةٍ ينبَغي أن ننظُرَ إليها يَومِيَّاً، لأنَّها ستَكشِفُ نقصاتِنا (يعقُوب ١: ٢٣، ٢٤). وكونُ اليهُود الذي أُعطُوا كَلِمَةَ اللهِ لم يُطيعُوا كلمَتَهُ، لا يُبطِلُ أبداً مفعُولَ كَلِمَةِ اللهِ، بل يُؤَكِّدُ بِبَساطَةٍ القَصدَ منَ الكلمة، والذي هُوَ تبكيت العالَم على حقيقَةِ كَونِنا جَميعاً خُطاة.

ثُمَّ يُعلِنُ بُولُس أنَّ كُلَّ النَّاسِ هُم تحتَ ما سيُسمِّيهِ لاحِقاً نامُوس الخَطيَّة (٧: ٢٣). وهُوَ يقتَبِسُ منَ العهدِ القَديم، ليدعَمَ تصريحَهُ بأنَّنا جميعاً خُطاة (مزمُور ١٤: ١- ٣؛ ٥٣: ١- ٣). بما أنَّ خَطِيَّةَ الإنسانِ تُظهِرُ وتُفَعِّلُ حقيقَةَ كلمةِ الله، يُوبِّخُ بُولُس أُولئكَ الذي يَقُولُونَ أنَّهُ يُعَلِّمُ أنَّنا علينا أن نُخطِئَ لكَي تأتي الخَيرات، أي أنَّنا نُصادِقُ على صِحَّةِ كلمَةِ اللهِ عندما نُخطِئُ. ولكنَّ بُولُس يُنكِرُ صراحَةً هذا الإتِّهام الخاطِئ.

بِحَسَبِ بُولُس، القصدُ من نامُوسِ اللهِ لم يَكُنْ يوماً أن يُخَلِّصَنا. بل كانَ القَصدُ منَ نامُوسِ اللهِ أن يُعلِنَ الخَطيَّةَ، وأن يُظهِرَ لنا حاجَتَنا للخَلاصِ

ولمُخَلِّص. لا أحدَ منَّا يستَطيعُ أن يعيشَ على مُستَوى الكمال الذي يطلُبُهُ الله. بهذا المعنى، ليسَ أنَّنا نحنُ نكسِرُ نامُوسَ اللهِ، بل نامُوسُ اللهِ هُوَ الذي يَكسِرُنا.

سُمِحَ لواعِظٍ في سجنٍ كَبير أن يُخاطِبَ المُجرِمينَ المحكُوم عليهِم، والذين كانُوا على وشكِ دُخُولِ السِّجن. وكانت تُوجدُ بالقُربِ من مداخِلِ السِّجنِ لوحتانِ صَخرِيَّتانِ كبيرتانِ منقُوشٌ عليها الوصايا العَشر، وبعض قوانين الولاية التي كانَ هؤُلاء المُجرِمُون قد إنتَهَكُوها. وقبلَ أن يُخاطِبَ الواعِظُ المَساجين، إقتَرَبَ من واحِدٍ منهُم، الذي كانَ قد قرأَ بعضَ قوانين ولايَتِهِ وكانَ يُتابِعُ بقراءَةِ الوصايا العَشر بِعِنايَة. وسألَ الواعِظُ هذا السَّجين قائلاً، "أيٌّ من هذه الوصايا كسَرتَ يا إبنِي؟" فأجابَ السَّجينُ، "أنا لم أكسِر هذه الوَصايا يا سَيِّد. بل هي التي كَسَرَتني!"

في هذا الإصحاحِ الثَّالِث، يكتُبُ بُولُس قائِلاً أنَّنا لن نتبرَّرَ أبداً أمامَ عَينَي اللهِ بعَدَمِ إقتِرافِ الخطأ، ولا بالأعمالِ الصَّالِحَة التي نعمَلُها خلالَ طاعَتِنا لنامُوسِ الله. فاللهُ لم يُعطِنا نامُوسَهُ لهذا الهَدَف. بل أعطانا اللهُ نامُوسَهُ لإعلانِ الخطيَّة. بِحَسَبِ بُولُس، قصدُ نامُوسِ اللهِ هُوَ "لكَي يَستَدَّ كُلُّ فَمٍ ويَصِيرَ كُلُّ العالَمِ تحتَ قِصاصٍ منَ الله." (رُومية ٣: ١٩). هل سبقَ وسَدَّتْ كَلِمَةُ اللهِ فَمَكَ، أم أنَّكَ لا تزالُ تتكلَّمُ، واثِقاً بِبِرِّكَ الذَّاتِيّ، واجداً الأعذارَ لِسقطاتِكَ الرُّوحِيَّة والأخلاقِيَّة؟

كُلُّ الأفكارِ الرُّوحِيَّةِ التي دوَّنها بُولُس في هذهِ التُّحفَة اللاهُوتِيَّة العميقة، حتى هذه النُّقطة، هي بمثابَةِ أرضِيَّةٍ صالِحَة لوضعِ هذه الجَوهَرَة، التي هي واحدَةٌ من أهمِّ المقاطِعِ في كِتاباتِ بُولُس: "وأمَّا الآن فقد ظَهَرَ بِرُّ الله بِدُونِ النَّامُوسِ مَشهُوداً لهُ منَ النَّامُوسِ والأنبياء. بِرُّ اللهِ بالإيمانِ بِيَسُوع المسيح إلى كُلِّ وعلى كُلِّ الذين يُؤمِنُون. لأنَّهُ لا فَرق. إذِ الجَميعُ أخطَأُوا وأعوَزَهُم مجدُ الله. مُتَبَرِّرِينَ مجَّاناً بِنِعمَتِهِ بالفِداءِ الذي بِيَسُوع المسيح. إذِ الجَميعُ أخطَأُوا وأَعوَزَهُم مَجدُ الله. مُتَبَرِّرِينَ مَجَّاناً بِنِعمَتِهِ بالفِداءِ الذي بِيَسُوع المسيح. الذي قَدَّمَهُ اللهُ كفَّارَةً بالإيمانِ بِدَمِهِ لإظهارِ بِرِّهِ من أجلِ الصَّفحِ عنِ الخطايا السَّالِفَة بإمهالِ الله. لإظهارِ بِرِّهِ في الزَّمانِ الحاضِر، لِيَكُونَ بارَّاً ويُبَرِّرَ مَن هُوَ من الإيمانِ بِيَسُوع."

في هذا المقطع، الذي يُشَكِّلُ قلبَ ورُوحَ هذا التَّصريح اللاهُوتيّ الذي يُقدِّمُهُ بُولُس عن مَوضُوعِ التَّبرير، يُعطينا الأخبارَ السَّارَّة قبلَ أن يَخُوضَ في الأخبارِ المُحزِنَة. الأخبارُ السَّارَّةُ المُعلَنَةُ في هذهِ الرِّسالَة هي عن برٍّ أُعلِنَ من قِبَلِ الله، والذي لا يقتَصِرُ على مُجَرَّدِ طاعَةِ نامُوسِ اللهِ ببَساطَة. فهذا البِرُّ هُوَ بِرٌّ يُكتَسَبُ بالإيمانِ بيسُوع المسيح، وليسَ بأعمالِ البِرِّ من جِهَةِ الإنسان. هذا البِرُّ يُمكِنُ أن يُنالَ من قِبَلِ جميعِ الذينَ يُؤمِنُونَ بعَمَلِ يسُوع المسيح على صَليبِ الخلاص.

وها هُوَ الآن يُكَرِّرُ بِهَدَفِ التَّشديد الحقيقَةَ نفسَها التي أعلَنَها في العددِ السَّابِع عشَر منَ الإصحاحِ الأوَّل، حيثُ أخبَرَنا أنَّهُ يُوجَدُ ذلكَ النَّوع منَ البِرِّ المُعلَنِ في الإنجيل، الذي هُوَ مُلزَمٌ ومُتَشَوِّقٌ وغيرُ خَجُولٍ بالكِرازَة بهِ في رُوما (١: ١٦، ١٧). تَذَكَّرُوا أنَّهُ كتبَ في تلكَ الأعداد أنَّ هذا البِرّ يُكتَسَبُ بالإيمانِ وحدَهُ وليسَ بالأعمالِ من جِهَةِ الذي يُؤمِنُ بأنَّ اللهَ قادِرٌ أن يُعلِنَهُ بارَّاً.

الجميعُ تحتَ الخَطِيَّة

يُتابِعُ بُولُس بعدَ ذِكرِ هذه الأخبارِ السَّارَّة، بِذكرِ الأخبارِ السَّيِّئَة، عندما يختُمُ قائِلاً: "لأنَّهُ لا فَرق؛ إذِ الجميعُ أخطأُوا وأعوَزَهُم مجدُ اللهِ..." اللُّغاتُ الأصليَّة التي كُتبَ فيها الكتابُ المُقدَّس، لديها بِضعَةُ كلماتٍ تمَّتْ ترجَمَتُها جميعاً بكلمَةٍ واحِدَة هي "خَطِيَّة." تُشيرُ هذه الكلماتُ أحياناً إلى سَهمٍ أخطأَ الهَدَف، أو إلى مَفهُومِ الخُرُوجَ إلى ما وراء المجال المَسمُوح بهِ، أو إلى كَسرِ القواعِدِ والقَوانِين.

عندما يكتُبُ بُولُس قائِلاً أنَّنا جميعَنا أخطَأنا، يستخدِمُ للتَّعبيرِ عن الخطيَّة كلمَةً تَصِفُ سَهماً يُقَصِّرُ عنِ الوُصُولِ إلى الهَدَف. وإنسِجاماً معَ ما كتبَهُ بُولُس سابِقاً، يَقُولُ هُنا أنَّنا جميعاً خُطاةٌ، لأنَّنا نُقَصِّرُ عن المُستَوى الذي وضَعَهُ لنا اللهُ في كُلِّ كَلِمَتِهِ المُوحاة.

في الكتابِ المُقدَّس، المُستَوى الذي وضَعَهُ اللهُ لِشَعبِهِ هُوَ أنَّ كُلَّ فكرَةٍ، كَلِمَةٍ، وعمَلٍ يَقُومُ بهِ شعبُ اللهِ، ينبَغي أن يأتِيَ بالمَجدِ لإلَهِهم. عندما نُقَصِّرُ عن هذا المُستَوى، نَكُونُ خُطاةً. بِبَساطَةٍ، هذهِ طريقَةٌ أُخرى للقَولِ أنَّهُ علينا أن نحفَظَ المأمُوريَّة العُظمَى، التي هي محبَّة الله من كُلِّ القَلبِ

ومن كُلِّ القُدرَةِ ومن كُلِّ الفكرِ، طوالَ اليومِ وكُلَّ يَومٍ نعيشُهُ في حياتِنا (١كورنثوس ١٠: ٣١؛ متَّى ٢٢: ٣٥- ٤٠؛ تثنِيَة ٦: ٥).

هذه هي الإستِعارَةُ المجازِيَّةُ المُفضَّلَة لدَيَّ عن مفهُومِ الخَطيَّةِ في كلمَةِ الله. فعلى مدَى عشراتِ السنِين التي قَضَيتُها كراعِي كنيسة، واجَهتُ نَوعانِ من النَّاس الذين يحتاجُونَ أن يسمَعُوا هذا التَّعريف الكِتابِيّ للخَطِيَّة. فهُناكَ أُولئكَ الذينَ يَقُولُونَ أنَّهُم يشعُرُونَ بالصَّدمَةِ عندما أعِظُ وأُعَلِّمُ قائلاً أنَّهُم خُطاة. وهُوَ يُؤمِنُونَ بأنَّ الخُطاةَ هُم فقط أُولئكَ الذين يسرُقُونَ المصارِفَ، ويقتَرِفُونَ الزِّنَى أو القتَل. وبما أنَّهُم لا يعمَلُونَ هذه الفظائِع، فإنَّهُم يشعُرُونَ بالصَّدمَةِ عندما أقُولُ لهُم أنَّهُم خُطاة.

مُشكِلَتُهُم هي في تعريفِهِم للخَطِيَّة. فعِندَما يفهَمُونَ تعريفَ اللهِ لِلخَطِيَّة – مفهُوم كَونِنا خُطاةً لأنَّنا نُقَصِّرُ عن المُستَوى الذي وضعَهُ اللهُ لِشَعبِهِ – سيُدرِكُونَ أنَّهُم خُطاةٌ حتَّى ولو لم يقتَرِفُوا تلكَ الخطايا الفَظيعة التي يربُطُونَها بكَونِ الإنسانِ خاطِئاً بِنَظَرِهِم. بل هُم خُطاةٌ لأنَّهُم يُقَصِّرُونَ عن تحقيقِ ما خلقَهُم اللهُ لأجلِهِ: تمجيد الله في كُلِّ فكرٍ وقَولٍ وعمَلٍ طوالَ اليومِ، وكلَّ يَومٍ يعيشُونَهُ.

الشَّخصُ الآخر الذي يحتاجُ إلى هذا التَّعريف هُوَ الذي يُؤمِنُ أنَّهُم إختَبَرُوا ما يعتَبِرُونَهُ "التَّقدِيس." فبالنِّسبَةِ لهُم، التَّقديسُ يعني أنَّهُم لم ولا ولن يُخطِئُوا، لأنَّهُ كانَ لدَيهِم خطيَّة إلى أن إجتازُوا بإختبارِ التَّقديس. (١يُوحَنَّا ١: ٨- ١٠). لدى هَؤُلاء مُشكِلَة في تعريفِهِم للتَّقديس. فكما أشَرتُ سابِقاً في تفسيري للتَّحِيَّة التي بدأ بها بُولُس رسالَتَهُ، دعا بُولُس الكُورنثِيِّينَ بأنَّهُم "مُقَدَّسينَ"، ثُمَّ نعتَهُم بلائِحَةٍ طويلَةٍ منَ الخطايا في كنيستِهِم. يُعَلِّمُنا هذا أنَّ التَّقديس لا يعني الكمال المُنزَّه عنِ الخَطيَّة.

لديهِم أيضاً مُشكِلَةٌ في تعريفِهِم للخطيَّة. إنَّهُم يحتاجُونَ ليُدرِكُوا أنَّ الخَطِيَّةَ هي التَّقصيرُ عن المُستَوى الذي وضعَهُ اللهُ والمسيحُ لنا لكَي نَكُونَ كامِلين (متَّى ٥: ٤٨؛ تكوين ١٧: ١). فإذا إدَّعَى شخصٌ مُعَيَّنٌ أنَّهُ لم يَعُدْ يُخطِئ، وأنَّهُ لن يُخطِئَ أيضاً، قد يكُونُ تعريفُهُ لِلخَطيَّة محصُوراً بإقتِرافِ الزِّنى، السَّرِقَة، القَتل وما هُوَ أسوأ من ذلكَ. ولكن عندما يُوافِقُ أمثالُ هؤُلاء الأشخاص على التَّعريفِ الذي يُقَدِّمُهُ بُولُس للخطيَّة في هذا المقطَع، سيُدرِكُونَ أنَّ الإدِّعاءَ بأنَّهُم لا يُخطِئُونَ، هو بمثابَةِ إدعائِهِم بأنَّهُم كامِلُون.

عندما كمَّلَ يسُوعُ نامُوسَ اللهِ بتعليمِ رُوحِ نامُوسِ مُوسى على جَبَلِ الجليل، رَفَّعَ نامُوسَ اللهِ عالِياً، لدَرجَةِ أنَّ نامُوسَ مُوسى هذا صارَ يكسِرُ كُلَّ واحِدٍ منَّا، ويَسُدُّ أفواهنا إلا عنِ التَّضَرُّعِ بصلاةِ الخاطِئ طالِبينَ رحمَةَ اللهِ (متَّى ٥: ١٧- ٤٨). الأخبارُ السَّارَّةُ هي أنَّنا عندما نُصَلِّي صلاةَ الخاطِئ، طالِبينَ رحمةَ الله، يُخبِرُنا يسُوعُ بأنَّهُ بإمكانِنا أن نذهَبَ إلى بيتِنا مُبَرَّرِينَ، - أي مُعلَنِينَ أبراراً من قِبَلِ الله (لُوقا ١٨: ١٠- ١٤).

الجميعُ يُمكِنُهُم أن يتبرَّرُوا بالإيمان

يَرجِعُ بُولُس سَريعاً إلى الأخبارِ السَّارَّة، التي تُشَكِّلُ زخمَ وقصدَ هذا التَّصريحِ المُوحَى بهِ عن لاهُوتِ العَهدِ الجديد. عندما ندرُسُ هذه الإصحاحاتِ الأربَعة الأُولى بِعنايَةٍ، نُدرِكُ أنَّ بُولُس يُقدِّمُ خُطَّةً منَ الله، يستَطيعُ من خلالِها الخُطاةُ أن يُعلَنُوا أبراراً منَ الله، أي وكأنَّهُم لم يُخطِئُوا أصلاً.

اللهُ هُوَ مُؤَلِّفُ هذه الخُطَّة. يتَّضِحُ هذا الأمرُ في كُلِّ ما كتبَهُ بُولُس في هذه الإصحاحاتِ الأربَعة الأُولى. في الإصحاحِ الثَّامِن، يَقُولُ بُولُس بِوُضُوحٍ، "اللهُ هُوَ الذي يُبَرِّرُ." (٨: ٣٣) فذبيحَةُ يسُوع المسيح، كحَمَلِ اللهِ، هي أساسُ هذه الخُطَّة (٣: ٢٥؛ ٤: ٢٥). وقيامَةُ يسُوع المسيح هي الضَّمانَةُ أنَّ الذي ماتَ على الصَّليب كانَ حملَ اللهِ الذي ماتَ من أجلِ خطايا العالَم (رُومية ٤: ٢٥).

الإيمانُ هُوَ المبدأُ الذي بهِ نُطَبِّقُ مُعجِزَةَ التَّبرير على خطايانا الشَّخصِيَّة (٣: ٢٨، ٣٠). فالإيمانُ هُوَ مجالٌ هامٌّ جدَّاً من تبريرِنا، إذ يُخَصِّصُ بُولُس مُعظَمَ الإصحاحِ الرَّابِع من هذه الرِّسالَة لمِثالِ إبراهِيم – أبي المُؤمنين. عندما يُريدُ اللهُ أن يُوصِلَ فِكرَةً رائِعَة، يُغَلِّفُها بفهُومٍ شَخص. وهُوَ يعتَبِرُ الإيمانَ مفهُوماً هامَّاً. لهذا، يُخَصِّصُ اللهُ إثنَي عشَرَ إصحاحاً من سِفرِ التَّكوين، ليُخبِرَنا بِقِصَّةِ إبراهيم، لأنَّهُ كانَ تعريفاً حَيَّاً للإيمان.

في العهدِ الجديد، عندما يُريدُ كُتَّابُهُ المَسُوقينَ بالرُّوحِ القُدُس أن يُخبِرُونا عنِ الإيمان، قبلَ أن يكتُبُوا أيَّةَ شَيءٍ يُخبِرُونَنا دائماً تقريباً عن إبراهيم. فهذه الشَّخصِيَّة الشَّهيرَة في العهدِ القَديم مَذكُورَةٌ أيضاً في العهدِ الجديد، أكثَرَ من أيَّةِ شخصيَّةٍ منَ العهدِ القديم.

نِعمَةُ اللهِ هي مَصدَرُ كَونِنا أُعلِنَّا أبراراً من قِبَلِ الله (رُومية ٣: ٢٤). فالحقيقَةُ المَجيدَةُ أنَّ نِعمَةَ اللهِ هي مَصدَرُ تبريرِنا، مُوضَّحَةٌ أيضاً من خلالِ حياةِ إبراهيم. عندما نقرأُ أنَّ إبراهيمَ آمنَ باللهِ، فحُسِبَ لهُ بِرّاً، يَشرَحُ بُولُس أنَّ هذه الكلمة تعني أنَّ البِرَّ أُعطِيَ ولم يُكتَسَب أو يُستَحَقُّ من قِبَلِ إبراهيم.

يستَخدِمُ بُولُس لاحِقاً في الإصحاحِ التَّاسِع يعقُوبَ كمِثالٍ على النِّعمة. فالنِّعمَةُ هي عمَلُ اللهِ فينا ولأجلِنا، بِدُونِنا أو بِدُونِ أيِّ مُساعَدَةٍ منَّا. فرَحمَةُ اللهِ تحجُبُ عنَّا ما نستَحِقُّهُ، بينما نعمَةُ اللهِ تُغدِقُ علينا الخلاص وكافَّة أنواع البَرَكاتِ التي لا نَستَحِقُّها، أو لا نُحَقِّقُها بجُهُودِنا الشَّخصِيَّة. يَقُولُ بُولُس هُنا أنَّنا لن نَجِدَ مصدَرَ خلاصِنا لا في أعمالِنا ولا في إستِحقاقاتِنا، بل بِبَساطَةٍ في نعمَةِ الله.

الأعمالُ هي البُرهانُ الذي يُصادِقُ على الإيمان الحقيقيّ (٢: ٦-١٠). فبِحَسَبِ يَعقُوب، الإيمانُ الذي يُخَلِّصُنا هُوَ دائماً إيمانٌ يعمَل (يعقُوب ٢: ١٤ – ٢٦). قالَ أحدُهُم، "الإيمانُ وحدَهُ يستَطيعُ أن يُخَلِّص، ولكنَّ الإيمانَ الذي يُخَلِّص لا يَكُونُ أبداً وحدَهُ." فنحنُ نخلُصُ بإيمانٍ تُرافِقُهُ دائماً وتُصادِقُ عليهِ أعمالٌ صالِحَة. رُغمَ أنَّ زُخمَ هذه الرِّسالة هو أنَّنا نتبرَّرُ بالإيمانِ وليسَ بالأعمال، لاحِظوا التَّشديدَ في هذه الرِّسالَة وباقِي رسائِل بُولُس المُوحاة، على المكانة الهامَّة للأعمالِ في رِحلَةِ المُؤمنِ الإيمانِيَّة (٢: ٦- ١٠).

بِحَسَبِ بُولُس، الخُطاةُ لا يَخلُصُونَ أبداً بالأعمالِ الصَّالِحَة، ولكنَّنا نخلُصُ لأعمالٍ صالِحَةٍ قد سبقَ اللهُ فأعدَّها لِكَي نسلُكَ فيها (أفسُس ٢: ٨-١٠). هُناكَ تشديدٌ قَوِيٌّ جدّاً في كُلِّ كتاباتِ بُولُس على أنَّنا لم نخلُصْ ولا نَستطيعُ المُحافَظَةَ على خلاصِنا بالأعمالِ الصَّالِحة. هذا هُوَ أيضاً زخمُ وفحوى رسالَتَي بُولُس إلى أهلِ رُومية وغلاطية.

خُلاصَة

اللهُ هُوَ مُبدِعُ خُطَّةٍ يستَطيعُ من خِلالِها أن يُعلِنَ الخُطاةَ مُبَرَّرِينَ وكأنَّهُم لم يُخطِئُوا أصلاً. صليبُ يسُوع المسيح هُوَ أساسُ هذه الخطَّة. وقِيامَةُ يسُوع المسيح هي ضمانُ كَونِ يسُوع هُوَ إبن اللهِ الوحيد المَولُود عندما تألَّمَ ومات على الصَّليبِ لِفِدائِنا. ونعمَةُ اللهِ هي مَصدَرُ خُطَّةِ اللهِ لِيُضَحِّيَ بإبنِهِ لأجلِ خلاصِنا. والإيمانُ هُوَ المَبدَأُ الذي بِهِ نُطَبِّقُ شَخصِيّاً

هذه الخُطَّة العجائبيَّة لتبريرِنا من خطايانا ولأجلِ خلاصِنا. الأعمالُ لا تُخَلِّصُنا، ولكنَّها تُفَعِّلُ الإيمانَ الحقيقيَّ الذي يُخَلِّصُنا.

بعدَ أن يُقدِّمَ بُولُس قَلبَ خُطَّتِهِ في الإصحاحِ الثَّالِث، يسأَلُ: "فأينَ الإفتِخار؟" إنَّهُ يُخاطِبُ يَهُودِيّاً وهمِيَّاً فَخُوراً بكونِ اللهِ قد أعطاهُ النَّامُوس وأنَّهُ يحفَظُ هذا النَّامُوس. وكَفَرِّيسيٍّ فَخُور، كانَ بُولُس نفسُهُ مُذنِباً بكبرياءِ البِرِّ الذَّاتِيّ هذا (فيلبِّي ٣: ٤- ٩).

وعلى مِثالِ يسُوع، مُعظَمُ تعليمِ بُولُس هُنا مُوَجَّهٌ لقادَةِ الشَّعب اليَهُودِيّ الدينيِّين. فجوابُهُ على سُؤالِهِ الذَّاتِي هُوَ أنَّنا عندَما نفهَمُ خُطَّةَ اللهِ هذه لإعلانِنا أبراراً، لن يَكُونَ هُناكَ مكانٌ للإفتِخار. لهذا يكتُبُ هذا الرَّسُولُ قائِلاً للغَلاطِيِّين: "وأمَّا من جِهَتِي فحاشا لي أن أفتَخِرَ إلا بِصَليبِ رَبِّنا يسُوع المسيح." (غلاطية ٦: ١٤)

كَمُعَلِّمٍ سابِقٍ للنَّامُوس، يختُمُ هذا الإصحاحَ الثَّالِث سائِلاً ومُجيباً مُجدَّداً: "أمِ اللهُ لِليَهُودِ فَقَط. أَلَيسَ لِلأُمَمِ أيضاً؟ بل لِلأُمَمِ أيضاً." ثُمَّ يختُمُ هذا بما يُسمِّيهِ "نامُوس الإيمان" الذي هُوَ خُطَّةُ اللهِ لتبريرِنا، يَهُوداً كُنَّا أم أُمَماً، وكُلَّ إنسانٍ على وجهِ الأرض.

فِكرُهُ الخِتامِيّ هُوَ أنَّ التَّبريرَ بالإيمانِ لا يُفرِغُ نامُوسَ الله. فنامُوسُ الإيمان الذي بِهِ يُبَرِّرُ اللهُ اليَهُودَ والأُمَم، يُؤَسِّسُ نامُوسَ الله. وتصريحاتُهُ الخِتامِيَّة عنِ النَّامُوس هي صَدَى كَلِماتِ رَبِّهِ، الذي أخبَرَنا على رأسِ جَبلِ الجليل أنَّهُ لم يأتِ لينقُضَ النَّامُوسَ والأنبياء، بل لِيُكَمِّلَ جوهَرَ ما يُعَلِّمُنا بِهِ النَّامُوسُ والأنبِياء (متَّى ٥: ١٧).

الفَصلُ السَّادِس
"التَّعريفُ الحَيُّ للإيمان"

عندَما يُريدُ اللهُ أن يُوصِلَ فِكرَةً عظيمَةً، يُغَلِّفُ تلكَ الفِكرَة في حياةِ شَخص. وكما أشرتُ سابِقاً، في أوَّلِ سفرٍ من أسفارِ الكتابِ المقدَّس، يُريدُنا اللهُ أن نستَوعِبَ مفهُومَ الإيمان. لِهذا، يُعَرِّفُنا على هذا الرَّجُل إبراهيم. عندما نَلتَقِي بِهِ، نجدُ إسمَهُ أبرام، الذي يعني، "أب أبناء كَثيرين." ولكنَّهُ كانَ في الخامِسَةِ والسَّبعينَ من عُمرِهِ، ولم يَكُنْ لَدَيهِ أيُّ إبن. تصوَّرْ هذا

الرَّجُلِ العجُوز يُعَرِّفُ عن نفسِهِ بأنَّهُ "أبُو أبناءٍ كثيرين." لَرُبَّما سألَهُ النَّاسُ، "كم إبناً لَدَيكَ أيُّها الشَّيخ العَجُوز؟"

ثُمَّ تصَوَّرُوهُ يَشرَحُ قائِلاً أنَّهُ لم يَكُنْ لَدَيهِ أيُّ ولَد بتاتاً، ولكن إن كانَ بإمكانِكُم أن تَعُدُّوا نُجومَ السَّماء، أو الرَّمل الذي على شواطِئِ بحارِ هذا العالم، عندَها ستُكَوِّنُونَ فِكرَةً عمَّا سيَكُونُ عددُ نسلِهِ يوماً ما. وإذا سألُوهُ كيفَ عرفَ أنَّ هذا الأمر سيَتَحَقَّقُ، لَرُبَّما كانَ يُجيبُ سائِليه، "اللهُ أخبَرَني بِذلكَ!"

وإذا إستَفَضْتُم في إستِخدامِ خيالِكُم إلى ما هُوَ أبعد من ذلكَ، وتفكَّرتُم بأُولئِكَ النَّاس الذين رأوه بعدَ بِضعِ سنواتٍ وسألُوهُ، "يا أبرام، هل صارَ عندَكَ بَنين؟" لَرُبَّما كانَ يُجيبُ، "منذُ أن رأيتُكُم للمَرَّةِ الأخيرة، غَيَّرَ اللهُ إسمِي من "أبرام" إلى "إبراهيم"، الذي يَعني، أبو أُمَمٍ منَ البَنين!" وإذا أجابُوهُ بالقَول، "حسناً، ينبَغي أن يَكُونَ لَدَيكَ إبنٌ واحِدٌ على الأقلّ." لَرُبَّما كانَ يُجيبُ، "كلا، بالحقيقَةِ ليسَ لي إبنٌ. ولكن..." ثُمَّ يُكَرِّرُ مواعِيدَ اللهِ عن أنَّ نسلَهُ سيَكُونُ كنُجُومِ السماءِ في الكثرة وكالرَّملِ الذي على شاطِئِ البَحر.

المُعجِزَةُ هي أنَّ كُلَّ يَهُودِيٍّ، وكُلَّ عَرَبِيٍّ مُسلِم، وكُلَّ مَسيحيٍّ في هذا العالم، يعتَبِرُ أنَّ إبراهيمَ أباهُ. هل تَرونَ لماذا يَذكُرُ كُتَّابُ الأسفارِ المُقدَّسة إسمَ إبراهيم عندما يُحاوِلُونَ أن يُعَلِّمُونَا عنِ الإيمان؟

في دِراسَتِي لِسِفرِ التَّكوين، قُلتُ أنَّهُ في الإصحاحاتِ الأحد عشَر الأُولى من هذا السِّفر، يُسَجِّلُ اللهُ لنا بدايَة الكَون، الأرض، الرجُل، المرأة، الزَّواج، العائِلة، الخَطيَّة، النِّزاع، الحُكم أو الدَّينُونة، اللُّغات، والأُمَم القَديمة التي يعتَبِرُها اللهُ جديرَةً بالذِّكر. والإصحاحاتُ الثَّمانِية والثَّلاثُون الباقِيَة تُسَجِّلُ دراسَةَ ثلاثَةِ شَخصِيَّاتٍ، لأنَّ اللهَ يعرِفُ أنَّ النَّاسَ مُهتَمِّينَ بالأشخاصِ، ونحنُ نتعلَّمُ مفاهِيمَ هامَّة عندما يُغَلِّفُ اللهُ هذه المفاهيم في غلافِ شخصِيَّاتٍ بَشَرِيَّةٍ.

الإيمانُ هُوَ المفهُومُ الهامُّ الذي يُغَلِّفُهُ اللهُ في حياةِ إبراهيم. خلالَ قِراءَتِنا لِرسالَةِ رُومية، هذه التُّحفة اللاهُوتيَّة لبُولُس الرَّسُول، والتي تتكلَّمُ بِمُجمَلِها عن التَّبرير بالإيمان، بإمكانِنا أن نرى لماذا يُعطي اللهُ هذا المقدار منَ الأولويَّة في المساحَة الكِتابِيَّة ليُخبِرَنا عن شَخصٍ يُرينا ما هُوَ الإيمان.

فالإيمانُ هُوَ إيجادُ الإنسانِ للهِ وثِقَتُهُ بهِ، وإيجادُ اللهِ للإنسان. إذا راجعتُم دِراسَتي لسفرِ التَّكوين، ستَجِدُونَ أنَّني أتعقَّبُ أثَرَ ما تعلَّمناهُ عنِ الإيمان، خلالَ قراءَتِنا عن كيفَ وجدَ اللهُ إبراهيم وكيفَ وجدَ إبراهِيمُ اللهَ الذي سبقَ وفتَّشَ عنهُ ووجدَهُ.

إذ يَجِدُ بُولُس الرَّسُول تعريفَهُ الحَيُّ للإيمان في شَخصِ إبراهيم، يُرَكِّزُ على واحِدَةٍ من أكثَرِ ظُهُوراتِ الله الدّراماتيكيَّة لهذا الإنسان، عندما كانَ يُقارِبُ المئة سنة منَ العُمر. وكانَ اللهُ قد غَيَّرَ إسمَهُ للتَّوِّ، وكرَّرَ وعدَهُ عن نسلِ إبراهيم الذي سيَكُونُ مثلَ نُجومِ السَّماءِ ورملِ البَحرِ في الكَثرة. في مُناسَبَةِ ظُهُورِ اللهِ لإبراهيم، أظهَرَ اللهُ لإبراهيم، بطَريقَةٍ حرفِيَّةٍ وديناميكيَّة، أنَّ إلهَهُ كانَ في عهدٍ وثيقٍ معَهُ.

لم تَكُن القَوانين المُلزِمَة مَوجُودَةً في تلكَ الأيام التي سارَ فيها إبراهيم رحلَةَ إيمانِهِ. ففي تلكَ الأيَّام، إرتَبَطَ بقاءُ رَجُلٍ ثَرِيٍّ مثل إبراهيم على كَونِهِ في عَهدٍ، أو على المُعاهداتِ التي أقامَها معَ رجالٍ آخرينَ أغنياء وأقوياء مثلَهُ. فالحمايَةُ الوحيدَةُ التي تمتَّعَ بها رَجُلٌ مثل إبراهيم من مخاطِرِ اللُّصُوصِ والأعداء كانَ علاقَةَ العهدِ معَ رَجُلٍ آخر، بإمكانِهِ أن يَهُبَّ لِنَجدَةِ إبراهيم عندَ الحاجَة، مُجنِّداً لذلكَ الهَدَف الذين يستَخدِمُهُم ضدَّ العدوّ المُشتَرك.

وعندما كانُوا يدخُلُونَ في هكذا عهد، كانَ لدَيهم طَقسٌ معقَّد، كانَ يُصبِحُ رَسمِيَّاً وساريَ المفعُول عندَ مَسيرَةِ العهدِ وختمِ العهد الذي كانَ يقطَعهُ الطَّرفانِ لبَعضِهما البَعض. كانَ إحتِفالُ قطعِ العهدِ يبدَأُ بِوُقُوفِ الطَّرَفَينِ مُقابِلَ بَعضِهما البَعض، تتوسَّطُهُما ذَبيحَةٌ حيوانِيَّة. وكانت مسيرَةُ العهدِ تجري بعدَ أن يمشِيَ كُلٌّ منهُما وسطَ قِطعِ الذَّبيحة المفصُولَة إلى شِقَّين، ثمَّ يستَديرُ في دائِرَةٍ كامِلة، ثُمَّ يجتازُ عبرَ شِقَّي الذَّبيحَةِ ثانِيَةً ويدُورُ دورَةً ثانِيَة بالإتِّجاهِ المُعاكِس. فكانَ شَكلُ مَسيرَةِ العَهدِ يُشبِهُ عدد ثمانِيَة بالأجنَبِيَّة: 8.

بَينَما كانَ هَؤُلاء يَسيرُونَ مَسيرَةَ العهد، كانُوا يَضَعُونَ سَيفاً ويُحَمُّونَهُ بالنَّارِ جانِباً. ثُمَّ كانُوا يختُمُونَ العهدَ بوضعِ السَّيفِ المُحمَّى بالنَّارِ على ساعِدِ كُلٍّ منَ الطَّرَفَينِ المُتعاهِدَين. وكانَ هذا بالطَّبعِ يحرُقُ ويترُكُ سِمَةً تبقى على جِلدِ حامِلِها مدى الحياة. فعندما كانَ الأعداءُ المُحتَمَلُونَ يَرَونَ

علامَةَ عهدٍ، كانُوا يَعرِفُونَ أنَّ هكذا شَخص كانَ في عَهدٍ مع قُوى أُخرى إمَّا مُساوِيَة لهُ أو أقوَى منهُ. فإذا هاجَمُوهُ، كانَ عليهِم أن يُحارِبُوا أيضاً الطَّرفَ الآخر الذي تعاهَدَ معَهُ الذي يُحارِبُونَهُ.

جميعُ ظُهُوراتِ اللهِ لإبراهيم، حيثُ وعدَ اللهُ إبراهيم بأنَّ نسلَهُ سيَكُونُ كثيرَ العدد، كانت بمثابَةِ عهدٍ قطَعَهُ اللهُ معَ إبراهيم. في الإصحاحِ الخامِسِ عشَر من سفرِ التَّكوين، كَرَّرَ اللهُ عهدَهُ لإبراهيم، وأمرَهُ بأن يُعِدَّ ذَبيحَةً. ثُمَّ أوقعَ على إبراهيم سُباتاً عميقاً.

عندَما أيقَظَ اللهُ إبراهيم من سُباتِهِ، رأى إبراهِيمُ شُعلَةً منَ النَّارِ تتجوَّلُ فوقَ الذَّبيحَةِ التي أعدَّها، والتي تتبَعُ بمَسيرَتِها شكلِ ثمانِيَة بالأجنَبِيَّة، إشارَةً إلى العهد. عبرَ هذه الصُّورَة المجازِيَّة المَهُوبَة، كانَ اللهُ يَقُولُ لإبراهيم، "أنا في عهدٍ معكَ." بعدَ ذلكَ نقرَأُ العَدَدَ الذي يقتَبِسُهُ بُولُس من تفاصِيلِ هذا الإختِبار: "آمنَ إبراهِيمُ باللهِ، فحَسِبَهُ لهُ بِرّاً." (تكوين ١٥: ٦، ٢٢؛ رُومية ٤: ٣).

قِصَّةُ هذا الرَّجُل كما هِيَ مُدَوَّنَةٌ في سفرِ التَّكوين، تُغَطِّي حوالَي خمسةً وعشرينَ سنَةً من حياتِهِ. نحتاجُ أن نتذكَّرَ أنَّ اللهَ يُريدُنا أن نقرَأَ هذه القصَّة بكامِلِها، ومن ثَمَّ أن نُدرِكَ أنَّ القِصَّةَ بكامِلِها مُدَوَّنَةٌ لتُظهِرَ لنا ولتُخبِرَنا بتَعريفِ كلِمَةٍ واحِدَة: إيمان.

يُرَكِّزُ بُولُس فَقَط على عددٍ واحِدٍ من هذه القِصَّة الرَّائِعة، الذي يُعلِنُ أنَّهُ عندما رأى إبراهيمُ الشُّعلَةَ الخارِقَةَ للطبيعة تتحرَّكُ فوقَ قِطَعِ الذَّبيحة، صدَّقَ اللهَ. فهُوَ لم يُؤمِن فقط بِوُجُودِ اللهِ، بل آمنَ بعهدِ اللهِ معَهُ. كانَ إلهُهُ يَقُولُ لهُ شَيئاً، فآمنَ بما قالَهُ لهُ اللهُ. عندما رأى اللهُ أنَّ إبراهيمَ آمنَ بهِ وصدَّقَهُ، قدَّمَ التَّصريحَ أنَّهُ حَسِبَ إيمانَ إبراهيمَ لهُ بِرّاً.

التَّطبيقُ الأساسيُّ

التَّطبيقُ الأوَّلِي الذي يَقُومُ بهِ بُولُس عنِ إيمانِ إبراهيم في هذا الإصحاح، هُو عندما رأى اللهُ أنَّ إبراهيمَ آمنَ بهِ، فأعلنَ اللهُ إبراهيمَ بارّاً. وخلالَ قيامِهِ بهذا التَّطبيق، يُوضِحُ الرَّسُولُ بُولُس ويُطَبِّقُ الحقيقَةَ التي رأيناها في الإصحاحاتِ الأربَعة الأُولى من هذه الرِّسالة. لقد أخبَرَنا في هذه الإصحاحات ما عَمِلَهُ اللهُ في ومن خلالِ المسيح، وما يُريدُ اللهُ منِّي

ومنكَ أن نعملَ حيالَ هذا الأمر. فاللهُ يُريدُنا أن نُؤمِنَ ونَثِقَ بهِ عندما يُخبِرُنا بما عمِلَهُ من خلالِ يسُوع المسيح.

يستَخدِمُ بُولُس حياةَ وإيمانَ إبراهيم ليُظهِرَ لنا ماذا يعني أن نُؤمِنَ باللهِ عندما نسمَعُ ما عمِلَهُ اللهُ من أجلِنا بالمسيح. يُخبِرنا بُولُس هُنا ما جَوهَرُ معناهُ أنَّ اللهَ نظَرَ إلى إبراهيم، وإبتَسَمَ وقالَ، "لقد أخبَرتُ هذا الرَّجُل العَجُوز شيئاً، وهُوَ آمنَ بِي وصَدَّقَني. ولقد أعجَبَني هذا! لهذا فسوفَ أُعلِنُهُ بارّاً، لأنَّني أخبَرتُهُ بِشَيءٍ فصدَّقَني وآمنَ بي."

هذه الرِّسالَة هي بمُجمَلِها عنِ التَّبرير، الذي هُوَ مُعجِزَةُ اللهِ بإعلانِ الخُطاةِ أبراراً. يُطَبِّقُ بُولُس تعليمَهُ عنِ التَّبريرِ بالإيمان، وذلكَ بِتَقديمِ هذا المِثال عن إيمانِ إبراهيم. هذا التَّطبيق هُوَ أنَّنا عندَما نسمَعُ الأخبارَ السَّارَّةَ أنَّ اللهَ سيُعلِنُنا أبراراً، بِبَساطَةٍ لأنَّنا آمنَّا بإنجيلِ يسُوع المسيح، علينا أن نُؤمِنَ باللهِ تماماً كما آمنَ إبراهيمُ باللهِ، فأعطاهُ اللهُ عَطِيَّةَ البِرّ.

يُتابِعُ بُولُس بالقَولِ أنَّنا عندَما نفعَلُ هذا، نختَبِرُ ونُعَبِّرُ عن الإيمان نفسِهِ الذي كانَ تمتَّعَ بهِ إبراهيم عندما آمنَ باللهِ، فحَسِبَهُ اللهُ لهُ بِرّاً. كُلُّ من يُؤمِنُ كما آمنَ إبراهيم، هُوَ واحِدٌ من أبناءِ إبراهيم. فعندما نُؤمِنُ بإنجيلِ التَّبرير الذي أعلَنَهُ بولُس في هذهِ الرِّسالة، نُصبِحُ "يَهُوداً بالرُّوح."

ثُمَّ يُتابِعُ بُولُس بمُخاطَبَةِ اليَهُود الذينَ يُشبِهُونَ شاوُل الطَّرسُوسِيّ، الذي كانَهُ هُوَ في الماضِي، عندما يُشيرُ إلى أنَّ اللهَ أعلنَ إبراهيمَ بارّاً قبلَ أن يختَتِنَ إبراهيمُ: "وأخذَ علامَةَ الختانِ، ختمَاً لبِرِّ الإيمان، الذي كانَ في الغُرلَةِ، لِيَكُونَ أباً لِجَميعِ الذينَ يُؤمِنُونَ وهُم في الغُرلَةِ كَي يُحسَبَ لهُم أيضاً البِرّ. وأباً لِلختانِ للذينَ ليسُوا منَ الخِتانِ فقط بل أيضاً يسلُكُونَ في خُطُواتِ إيمانِ أبينا إبراهيم الذي كانَ وهُوَ في الغُرلَة." (رُومية ٤: ١١، ١٢).

كانَ الخِتانُ ختمَ العَهدِ بينَ اللهِ وإبراهيم. ولكن، تماماً كما أنَّ المعمُوديَّةَ لا تُخَلِّصُنا، بل هي ختمُ عهدِ إيمانِنا معَ الله للخلاصِ، يُشَدِّدُ بُولُس على نُقطَةِ أنَّ الخِتانَ لم يُحَقِّقْ البِرَّ لإبراهيم، ولا لأيٍّ من نسلِهِ من بعدِهِ.

يُشيرُ بُولُس إلى هذه النُّقطَة عينِها عندما يَشرَحُ معنى الكلمة التي تُخبِرُنا أنَّ هذا البِرّ كانَ "محسُوباً" على إبراهيم. فبِحَسَبِ بُولُس، لا تعني

الكلمةُ أنَّنا قدِ إكتَسَبنا البِرَّ مثل الأُجرة التي نكتَسِبُها على نهارِ عمَلٍ جَيِّد. بَل تعني بالتَّحديد العَكس. فهذا البِرّ كانَ هِبَةً مَمنُوحَةً مجَّانِيَّاً على إبراهيم لأنَّهُ آمنَ بالله.

ثُمَّ يَربِطُ بُولُسُ بينَ وُعودِ عهدِ اللهِ لإبراهيم، بِخُصُوصِ نسلِهِ الذي سيَكُونُ مثلَ نُجُومِ السَّماءِ في الكَثرة وكالرَّملِ الذي على شاطئِ البَحر، وبينَ الحقيقةِ المَجيدة أنَّ كُلَّ أُولئكَ الذين آمنُوا بإنجيلِ التَّبريرِ بالإيمان هُم أولادُ إبراهيم. فكون إبراهيم كانَ مَوعُوداً بأنَّهُ سيَكُونُ أباً لجماهيرَ منَ الأُمم، عندما لم يَكُنْ مختُوناً بعد، يعني أنَّهُ لم يكتَسِبْ بِرَّهُ من خلالِ الختان. يعتَقِدُ بُولُس أنَّ الوعدَ أُعطِيَ لإبراهيمَ أيضاً، لأنَّهُ صَوَّرَ حقيقَةَ كَونِهِ أبي الذين في الختان، أو الأُمَم الذين يُؤمِنُونَ باللهِ عندما يخبِرُهُم اللهُ بما فعلَهُ لأجلِهِم بالمسيح.

كتبَ بُولُس عن هذه الحقيقة عَينِها للغلاطِيِّين (غلاطية ٣: ٦- ٩). يقصُدُ بُولُس ما فَحواهُ أنَّ الإلهَ نفسَهُ الذي أعطى الإيمانَ لإبراهيم، يُعطي موهِبَةَ الإيمانِ لأُولئكَ الذين يُؤمِنُونَ بالإنجيل (أفسُس ٢: ٨، ٩؛ فيلبِّي ١: ٢٩). وقد يقصُدُ أيضاً أنَّهُ تماماً كما كانَ اليَهُودُ مُختارِينَ منَ الله ليَكُونُوا خُدَّامَ المسيا والكلمة المُرسَلة منهُ، فكذلكَ إختارَ منَّا أيضاً أُولئكَ الذين يُؤمِنُونَ اليومَ بأن يَكُونُوا خُدَّامَ كَلِمَتِهِ المُدَوَّنَة وكلمة الحَيَّة، يسُوع المسيح الحَيّ المُقام (يُوحَنَّا ١٥: ١٦؛ أفسُس ١: ٤).

خُلاصَةُ هذا العَرضِ المَنطِقي المُوحى بهِ عن كيفيَّةِ إعلانِ اللهِ خُطاةً نظيرَكَ ونظيري وجعلِهِم أبراراً، والذي تأمَّلنا بهِ في هذه الإصحاحاتِ الأربَعة الأُولى، نَجِدُها بالحقيقَةِ في العددِ الأوَّل منَ الإصحاحِ الخامِس، عندَما كتبَ بُولُس يَقُولُ: "فإذ قد تبَرَّرنا بالإيمان، لنا سلامٌ معَ اللهِ بِرَبِّنا يسُوع المسيح."

يُذَكِّرُنا هذا بمبدأَ دَرسِ الكتابِ المُقدَّس، الذي يقَولُ بأنَّهُ علينا أن لا ندعَ تقسيمَ الإصحاحاتِ يقطَعُ تسلسُلَ أفكارِنا، أو تسلسُلَ المَنطِقِ الكتابِيّ لكاتِبٍ مثل بُولُس الرَّسُول. قالَ أحدُهُم أنَّنا عندما نقرأُ كتاباتِ الرَّسُول بُولُس، في كُلِّ مرَّةٍ يستَخدِمُ فيها الحرف "فَ"، علينا أن نتوقَّفَ ونرى سببَ وضعِهِ هذا الحرف هُناك. فهذا الحرف يُقدِّمُ عادَةً لخُلاصَةٍ أو لخُطوَةٍ هامَّةٍ في منطِقِ الحقيقَةِ التي يُعَلِّمُها. يبدَأُ الإصحاحُ الخامِسُ بهذا الحرف،

"فإذ،" الأمرُ الذي ينبَغي أن يدفَعَنا لَنَنظُرَ إلى الوراء، إلى آخِرِ أمرٍ كتبَهُ قبلَ ذلكَ.

حُجَّةُ أو تعليمُ هذه التُّحفَة اللاهُوتيَّة لبُولُس، تبدأُ بالحقيقَةِ في العددِ السَّادِس عشَر منَ الإصحاحِ الأوَّل، حيثُ أعلنَ بُولُس أنَّهُ لا يستَحي بإنجيلِ المسيح. ثُمَّ كتَبَ ذلكَ العدد السَّابِع عشر الذي بدأَ ثَورَةً لاهُوتِيَّةً في قَلبِ مارتن لُوثَر، والذي أدَّى إلى الإصلاحِ اللاهُوتيِّ البروتستانتِيّ في أُورُوبا والعالَمِ أجمَع.

عندما بدَأَ هذه الأُطرُوحة اللاهُوتيَّة عنِ التَّبرير، لم يُصَرِّحْ فقط أنَّ شَيئَين أُعلِنا في الإنجيل لا يَستَحي بهِما، لا بَل هُوَ مُتَشَوِّقٌ للكِرازَةِ بهما: بِرُّ الله وغضبُ الله علىكُلِّ إثم. ولقد كتبَ أيضاً أنَّ هذا البِرّ هُوَ "من إيمانٍ لإيمانٍ" قبلَ أن يقتَبِسَ من عِظَةِ حبقُّوق العظيمة: "لأنَّ البارَّ بالإيمانِ يحيا!" (رومية ١: ١٧؛ حبقُّوق ٢: ٤).

لقد كانَ يُعلِنُ بِجرأَةٍ وبطريقَةٍ مُختَصَرَةٍ التَّصريحَ اللاهُوتِيّ الذي طَوَّرَهُ بِعُمقٍ في هذه الإصحاحاتِ الأربَعة الأُولى: أنَّ هذا البِرّ، المُعلَن في الإنجيل، هُوَ بِرٌّ يُكتَسَبُ ويُختَبَرُ بالإيمان. ولقد كتبَ يَقُولُ ما معناهُ: " من إيمانٍ يَقُودُ لإيمانٍ أكثَر." وكما أشَرتُ سابِقاً، سوفَ يكتُبُ في رسائِلِهِ الأُخرى أنَّ هذا الإيمان مُعطَى لنا منَ الله (أفسُس ٢: ٨، ٩؛ فيلبِّي ١: ٢٩). تعلَّمَ بُولُس من يسُوع أنَّ الإيمانَ هُوَ عَطِيَّةٌ منَ الله.(متَّى ١٣: ١١-١٧)

تَذَكَّرُوا أنَّ حقيقَةَ البِرّ بالإيمان في هذا العدد الذي تكلَّمَ ديناميكيَّاً لقَلبِ مارتن لُوثر، لأنَّهُ كانَ يُحاوِلُ، والكنيسَةُ كانت تُعَلِّمُ، أنَّهُ منَ المُمكِنِ والضَّرُورِيّ أن نكسَبَ خلاصَنا بالأعمالِ الصَّالِحَة. نحتاجُ أن نُحافِظَ على هذا البِرّ بالإيمانِ، جاعِلينَ الحقَّ خلفيَّةً لهذه الإصحاحاتِ الأربَعة الأُولى.

لقد سبقَ ورأينا أنَّهُ يُقدِّمُ خُطَّةً مُفَصَّلَةً يُعلِنُ اللهُ فيها الخُطاةَ أبراراً. هذه الخُطَّة تتضمَّنُ صَليبَ المسيح، قيامَتَهُ، نعمَةَ الله، الإيمان وحتَّى الأعمال الصَّالِحة، التي تُفَعِّلُ الإيمان الحقيقيّ. ولكن لاحِظُوا أنَّهُ تماماً كما يُقَدِّمُ مُحامٍ قَضِيَّتَهُ أمامَ محكَمَةٍ قانُونيَّة، يختُمُ عرضَهُ في الإصحاحِ الرَّابِع معَ مثالِ إبراهيم. هذه هي طريقَتُهُ لتقوِيَةِ الأفكارِ الخِتامِيَّة في الإصحاحِ الثَّالِث – أنَّ البِرَّ المُعلَنَ في الإنجيل يُكتَسَبُ بالإيمان وليسَ بالأعمال.

النُّقطَةُ الأخيرَةُ التي يُعلِنُها بُولُس في هذا العَرض للتَّبريرِ بالإيمان، مُعَبَّرٌ عنهُ في هذه الكلماتِ المِفتاحِيَّة منَ الإصحاحِ الخامِس: "فإذ قد تَبَرَّرنا بالإيمان، لنا سلامٌ معَ اللهِ بِرَبِّنا يسُوع المسيح." العَدَدُ الثَّانِي في هذا الإصحاحِ الخامِس يُقدِّمُ الإصحاحات الأربَعة التَّالِيَة من هذه التُّحفة اللاهُوتيَّة الرَّائِعة. وسوفَ أحتَفِظُ بتفسيرِي لهذا العدد للكُتَيِّبِ المُقبِل.

تطبيقٌ شَخصِيّ

في بِدايَةِ هذا الكُتَيِّب، وفي مُقدِّمَتي واللمحة العامَّة التي قدَّمتُها عن رسالَةِ بُولُس الرَّسُول هذه إلى أهلِ رُومية، شجَّعتُكَ أيُّها القارِئُ العزيز أن تُصَلِّيَ إلى الله لكَي يتكلَّمَ إليكَ، خلالَ دِراسَتِكَ معي لهذا السِّفر الرَّائِع من أسفارِ العهدِ الجديد. فإذ قد تكلَّمَ إلى أشخاصٍ مثل لُوثر، أُوغسطِينُوس، ووِسلي، وآخرينَ كُثُر عبرَ هذه الرِّسالَة لبُولُس الرَّسُول، أودُّ أن أسأَلَكَ ما إذا أعلنَ اللهُ لكَ شَخصيَّاً هذه الحقيقَة المجيدة أنَّهُ ليسَ بإمكانِكَ أن تُضيفَ أيَّ شَيءٍ على ما أكمَلَهُ يسُوعُ على الصَّليبِ من أجلِ خلاصِكَ؟ فهل عرَّفكَ اللهُ على ما هُو، وما يَدينُهُ، وما يعرِفُهُ، وما عمِلَهُ وما يُريدُكَ أنتَ أن تعمَلَهُ؟

اللهُ بارٌّ. واللهُ يَدينُ الإثم. واللهُ يعرِفُ أنَّهُ لن يَكُونَ بمقدُورِكَ، ولا بمليون سنَةً، أن تعمَلَ أعمالاً صالِحَةً لتجعَلكَ بارَّاً بشكلٍ كافٍ لتخليصِ نفسِكَ. لهذا أرسَلَ اللهُ إبنَهُ الوحيد ليَمُوتَ على الصَّليبِ عنِّي وعنكَ. وعندما يُخبِرُكَ من خلالِ بُولُس في هذه الرِّسالَة المُوحاة، عمَّا عمِلَهُ لأجلِكَ، تَجِدُ أنَّ اللهَ يُريدُكَ أن تُؤمِنَ بهِ.

عندَما أخبَرَ اللهُ إبراهيمَ أمراً، آمنَ إبراهيمُ باللهِ. لهذا، أعلنَ اللهُ إبراهيمَ بارَّاً. في هذه الإصحاحاتِ الأربَعة الأُولى من هذه الرِّسالَة لبُولُس الرَّسول إلى أهلِ رُومية، يُخبِرُكَ اللهُ أمراً. يَقُولُ اللهُ لكَ أنَّ إيمانَكَ بمَوتِ يسوع المسيح – الذي قدَّمَ نفسَهُ على الصَّليبِ لأجلِكَ كحَمَلِ الله – هُوَ الأساسُ الوحيدُ الذي على أساسِهِ يُمكِنُهُ أن يُعلِنَكَ بارَّاً. هل تُؤمِنُ بما يَقُولُهُ لكَ الله؟

إذ أختُمُ هذا الكُتَيِّب، أدعُوكَ لتستخدِمَ مُخَيِّلَتِكَ، وتُقارِنَ خلاصَكَ بواسِطَةِ كونِكَ إنساناً صالِحاً، معَ قُدرَتِكَ على السِّباحَةِ لإجتيازِ المُحيط، من

شاطِئ أميركا وُصُولاً إلى أُورُوبا. الأشخاصُ اللاأخلاقِيُّونَ الأشرار لن يتمكَّنُوا ولا حتَّى من الإبتِعادِ عن الشَّاطِئ الأميركي. والأشخاصُ ذوي الإستِقامة المُعتَدِلَة، قد يتجاوَزُونَ الشَّاطِئَ قَليلاً، وقد يَصِلُونَ بضعَةَ أمتارٍ أبعد من الشَّاطِئ بإتِّجاهِ المُحيط. والأشخاصُ الأخلاقِيُّونَ والصَّالِحُونَ جدَّاً، أمثال غاندي، قد يَكُونُونَ مثلَ السَّبَّاحِينَ الماهِرين، الذي قد يَصِلُون في سباحَتِهِم إلى بضعِ كيلومتراتٍ إضافِيَّة. ولكنَّهُم جميعَهُم سيغرَقُونَ مُنهَكي القُوى وهُم لم يبتَعِدُوا بعدُ عن شاطِئِ أميركا إلا بِضعَةَ كيلومترات ولا تزالُ تفصِلُهُم عن أُورُوبا آلاف الكيلومترات.

كتبَ بُولُس إلى الغلاطِيِّين، أنَّهُ إن كانَ الإنسانُ قادِراً أن يتبرَّرَ بأعمالِهِ الصَّالِحَة، فإنَّ هذا سيَعني أنَّ يسُوعَ ماتَ على الصَّليب بِدُونِ هَدَف. (غلاطية ٢: ٢٠، ٢١) عندما تساقَطَ عرَقُ يسُوع وكأنَّهُ قطراتٌ منَ الدَّم، صَلَّى قائِلاً، "أيُّها الآبُ، إن أمكَن، فلتَعبُرْ عنِّي هذه الكأسُ. ولكن، ليسَ كما أُريدُ أنا، بل كما تُريدُ أنتَ." (متَّى ٢٦: ٣٩). لقد كانَ يطلُبُ منَ أبيهِ السَّماوِيّ ما جَوهَرُ معناهُ، أنَّهُ إن كانَت تُوجدُ أيَّةُ خُطَّةٍ أُخرى لإتمامِ خلاصِ العالم، بدُونِ إرسالِهِ إلى الصَّليب، فالرَّجاء إتمام الخلاص بهذه الطريقة.

وبالحقيقة، لقد أجابَ الآبُ السَّماوِيُّ أنَّهُ لا تُوجَدُ أيَّةُ طريقَةٍ أُخرى، وأنَّهُ أرسَلَ إبنَهُ ليَمُوتَ على الصَّليب. ألا يُصبِحُ الأمرُ عندَها غيرَ معقُولٍ أن نَقُولَ للهِ أنَّهُ ما كانَ ينبَغي أن يُرسِلَ إبنَهُ إلى الصَّليب، لأنَّهُ كانَ بإمكانِنا أن نُخَلِّصَ أنفُسَنا بأعمالِنا الصَّالِحَة؟

كُلُّ من يُؤمِنُ بالخلاصِ بالأعمال، ينبَغي أن يُجيبَ على الأقلّ على ثلاثَةِ أسئِلَة: كيفَ يُمكِنُكَ أن تعلَمَ متَى تَكُونُ قد حقَّقتَ ما يكفي منَ الأعمالِ الصَّالِحَةِ الكافِيَة لخلاصِكَ؟ وكيفَ يُمكِنُكَ أن تتأكَّدَ من خلاصِ نفسِكَ، وإن كانَ بإمكانِكَ أن تُخَلِّصَ نفسَكَ بأعمالِكَ الصَّالِحَة، فلِماذا ماتَ يسُوعُ على الصَّليب؟

وكما آمنَ إبراهيمُ بما قالَهُ اللهُ، ومُنِحَ لهُ البِرُّ الذي بالإيمان، هل تُؤمِنُ بأنَّ اللهَ سيُعلِنُكَ بارَّاً إذا آمنتَ بما أخبَرَكَ بِهِ اللهُ في هذه الإصحاحات الأربَعة الأُولى من رِسالَةِ بُولُس إلى أهلِ رُومية؟ وحولَ سُلطَةِ هذه الكلمات المُوحاة، كتبَ بُولُس للكنيسَةِ الأُولى في رُوما، أنَّ اللهَ أخبَرَكَ بأنَّهُ

سيُعلِنُكَ بارَّاً، إذا آمنتَ بما يَقُولُهُ لكَ. فهل أنتَ مُستَعِدٌّ لتُؤمِنَ باللهِ، ولِتَتَبَرَّرَ بالإيمان؟

إن كانَ الأمرُ كذلكَ، أدعُوكَ لتُصَلِّيَ – أي تتكلَّم معَ الله، كما فعلتُ أنا منذُ سنواتٍ عدَّة. "أيُها الآبُ السَّماوِيُّ المُحِبّ، أعتَرِفُ أنَّني خاطِئ، وأنا أُؤمِنُ بإبنِكَ يسُوع المسيح ليَكُونَ مُخَلِّصِي. أنا أضَعُ كُلَّ إيمانِي في مَوتِهِ على الصَّليب وفي قيامَتِهِ منَ المَوت لغُفرانِ كُلِّ خَطِيَّةٍ من خطَاياي. وها أنا الآن أترُكُ كُلَّ خطاياي وأرجِعُ عنها. أُريدُ أن أتصالَحَ معكَ وأن أُنهِيَ طلاقِي عنكَ. الآن وفي هذا المكان، أُعلِنُ بالإيمانِ أنَّ يسُوعَ المسيح هُوَ رَبِّي ومُخَلِّصِي، وأُسَلِّمُ لهُ حياتِي، بِدُونِ شُرُوطٍ، لتَكُونَ تحتَ قيادَتِهِ وسيطَرَتِهِ. إجعَلْ حياتي تكُونُ في إنسجامٍ كامِلٍ معَ الخُطَّةِ العَظيمة التي أردتَها دائماً لِحَياتِي. ساعِدني بينما أتبَعُ إبنكَ يسُوع المسيح، لأتَّكِلَ على سُلطتِهِ وقُوَّتِهِ، ولأحيَا لمَجدِهِ ولمجدِكَ. شُكراً على منحِي هذا الخلاص الأبديِّ العَظيم. آمين."

إن كُنتَ قد صَلَّيتَ هذه الصَّلاة، أدعُوكَ لتَكتُبَ إلينَا ولتُعلِمَنا بذلكَ، ثُمَّ أن تنضَمَّ إلى كنيسَةٍ محَلِّيَّة تُؤمِنُ بكلمَةِ اللهِ وتُعَلِّمُها.

إن كُنتَ أصلاً مُؤمِناً باللهِ وتابِعاً ليسُوع المسيح، أدعُوكَ لتَكُونَ كَبُولُس، ولتُشارِكَ الأخبارَ السَّارَّةَ معَ كُلِّ من يُمكِنُ أن يُعلَنَ بأنَّهُ بارٌّ، ولِتَتمتَّعَ بالسَّلامِ الأبديِّ معَ الله.

الخدمة العربية للكرازة بالإنجيل هي هيئة إرسالية مسيحية شغفها نشر كلمة الله في العالم العربي عبر الإنترنت وعبر وسائل إلكترونية أخرى. وتقوم بتوزيع الكتاب المقدس مجاناً للجالية العربية في أميركا الشمالية والقطر العربي وبلدان العالم. بالإضافة إلى مجموعة من الأقراص المضغوطة التي تحتوي على كتب روحية، عظات، تراتيل والكتاب المقدس.

لمزيد من المعلومات الرجاء الإتصال بنا.

يحفظكم الله ويملأ حياتكم بالصحة والسعادة والسلام.

أسرة الخدمة العربية للكرازة بالإنجيل